المجلة العربية للدراسات التاريخية

علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي

العدد (١٠) - السنة الخامسة ٢٠٢٤م

توميه بيريس
السفير البرتغالي إلى الصين
وكتابه (الخلاصة الشرقية)
نموذجا للدبلوماسية الثقافية البرتغالية
في القرن السادس عشر الميلادي

د. محمد صالح حامد سيد أحمد

(طرق الحرير القديم)
المعبر الثقافي والحضاري لأنتشاء اللغة الآرامية

أ. د. أبتهال عادل أبراهيم

شيراز في المصادر العربية الإسلامية
من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري

د. يوسف المساتي

مذهب الإمام الشافعى ببلاد الشام
وأثره على الجانبين السياسي والفكرى
خلال القرنين الثانى والثالث الهجرى/ الثامن والتاسع الميلادى "

د. مشاء الله شنشان عثمان عرابي

عدد مجاني - غير مخصص للبيع

المجلة العربية للدراسات التاريخية

شروط وأحكام النشر

١- تنشر المجلّة العربية للدراسات التاريخية الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرّصينة والتي تلتزم بالموضوعيّة، وتتوافر فيها الدّقة والجديّة. في التاريخ ، وكافة العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة ذات الصلة بالتاريخ.

٢- كلّ بحث لا يحترم شروط النّشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

٣- تخضع كلّ الأبحاث إلى التّحكيم من قبل هيئة مختصّة، ويلقى البحث القبول النّهائي بعد أن يقوم الباحث بالتّعديلات المقترحة.

٤- للمجلّة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلّة.

٥- لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.

٦- يتعهّد الباحث بعدم تقديم البحث للنشّر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في المجلّة العربية للدراسات التاريخية، إلاّ بعد الحصول على إذن كتابيّ بذلك من مدير المجلّة.

٧- لا تتجاوز صفحات البحث المقدّم ٢٥ صفحة.

٨- على الباحث احترام شروط الكتابة التّالية:

- تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي اليها باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزيّة، البريد الالكتروني للباحث، ملخّص للدّراسة في حدود ١٥٠ كلمة حجم ١٢ بلغة المقال وبلغة أجنبيّة (لإنجليزية)، الكلمات المفتاحيّة بعد الملخّص.

تعريف بالمركز

تم إنشاء المركز عام ٢٠١٩م في مدينة إسطنبول على يد الدكتور محمد محمود خليل، كمساهمة في إثراء المعرفة التاريخية، والاعتناء بحضارة الوطن العربي، وتوفير ما يلزم من دراسات جادة ووثائق تاريخية.

التواصل

mmk1976mmk@gmail.com

+ 905446117942

Şirinevler - Istanbul - Turkey

أقسام المركز

- دار نشر
- مركز أبحاث
- قسم الوثائق العثمانية
- المجلة العربية للدراسات التاريخية

المشرف العام
د. محمد محمود خليل

المدير التنفيذي
أ. عمر الحوت

المدير المالي والإداري
أ. محمد محمود حلمي

- تقـدّم الأبحـاث مكتوبـة ببرنامـج Word بخـط Traditionnel Arabic حجـم ١٤، تكتـب العناويـن الرئيسـيّة والفرعيّـة للفقـرات بحجـم ١٤ مثلهـا مثـل النصّ الرئيسـيّ لكـن مـع تضخيـم الخـط. أمـا الأبحـاث المكتوبـة باللّغـة اللاتينيّـة فتكتـب بخـط Time new Roman، بحجـم ١٢ وتكـون الحواشـي ٤ سـم علـى جوانـب الصّفحـة الأربعـة، كمـا تـدرج الرّسـوم البيانيّـة والأشـكال التوضيحيّـة فـي المقـال، وتكتـب عناوينهـا والملاحظـات التوضيحيّـة أسـفلها، أمـا الجـداول ترقـم ترقيمـاً متسلسـلاً وتكتـب عناوينهـا أعلاهـا والملاحظـات التوضيحيّـة أسـفلها.
- يلتـزم الباحـث بتهميـش المعلومـات علـى طريقـة APA American Psychological Association
- بالنّسـبة لعلامـات الترقيـم، توضـع النّقطـة (.) بعـد الكلمـة مباشـرة دون وجـود فـراغ بينهمـا، ويوضـع فـراغ واحـد بيـن النّقطـة وبدايـة الجملـة التّاليـة. كمـا لا توضـع النّقطـة (.) أبـدا فـي العناويـن، أمّـا إذا كان العنـوان يضـمّ عنوانيـن أحدهمـا فرعـيّ والآخـر رئيسـيّ فيفصـل بينهمـا بنقطتيـن.
- يجـب إدراك الفـرق بيـن الفاصلـة بالعربيـة (،) والفاصلـة بالأجنبيـة (,) واسـتغلالهما فـي الكتابـة المناسـبة، كمـا تكتـب الفاصلـة بعـد الكلمـة مباشـرة ولا يوجـد فـراغ بينهمـا.
- تكتـب واو العطـف ملتصقـة بالكلمـة التـي تليهـا ولا يتـرك فـراغ بينهمـا.
- عـدم تزييـن النـصّ بالألـوان والخطـوط العريضـة وتكبيـر الحجـم، يجـب احتـرام الشـروط المعروضـة سـابقا.
- ضبـط اتّجـاه النـصّ بالعربيّـة مـن اليميـن الـى اليسـار، والنـصّ بالأجنبيّـة مـن اليسـار الـى اليميـن، وضبـط اتجـاه الجمـل فـي النّصـوص إذا كانـت باللّغـة العربيّـة او بالأجنبيّـة.
- عـدم الإكثـار مـن الفقـرات وجمعهـا فـي نـصّ سـياقي واحـد، واللّجـوء الـى الفقـرات عنـد الضـرورة النصيـة.

٩- الأفـكار والآراء التـي يتضمّنهـا البحـث لا تعبّـر عـن رأي المجلّـة وإنمـا هـي وجهـة نظـر أصحابهـا. كمـا أنّ هيئـة تحريـر المجلّـة غيـر مسـؤولة عـن أيّ سـرقة علميّـة تتـم فـي البحـوث المقدّمـة لهـا.

١٠- يرفـق صاحـب البحـث تعريفـا مختصـرا بنفسـه ونشـاطه العلمـيّ والثقافـيّ.

١١- ترسل الأبحاث الى إيميل المجلة

المحتويات

المحتويات ١

توميه بيريس السفير البرتغالي إلى الصين، وكتابه (الخلاصة الشرقية) نموذجا للدبلوماسية الثقافية البرتغالية في القرن السادس عشر الميلادي ٣

المقدمة ٣

الخلاصة الشرقية ٣

الدراسة ٥

مصادر كتابة الخلاصة الشرقية ٨

التاريخ التحريري للخلاصة الشرقية ٩

مملكة الصين ١٠

المرأة الصينية ١١

مكان إقامة الملك ١١

الممالك التابعون دون التزام الأقران موجودون تحت نفوذ ملك الصين. ١١

مراكز التجارة البحرية في مملكة الصين ١٢

جزر هومدي ترسو قصب مالاكا ١٢

طريق قباطنة البر والبحر ١٢

شبكة العلاقات الدبلوماسية ١٣

الدبلوماسية البرتغالية ١٣

أدوات (الدبلوماسية) ١٤

الدبلوماسية ١٥

المنهج التربوي، سباق ملائم لإنتاج المعاجم والمفردات: الكارتينهاس أو الكارثيلهاس. ١٦

المعاجم والمفردات والقواميس في دولة الهند ١٦

محاولات استئصال اللغة، الدولة، والرهبانيات في مواجهة الكونكانية ١٧

مطابع جوا، أدوات الترجمة الثقافية ١٨

الثقافات الإنسانية في دولة الهند ١٨

الخلاصة ٢٠

شيراز في المصادر العربية الإسلامية من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري ٢٢

ملخص الدراسة ٢٢

مقدمة ٢٣

أولا: شيراز في نصوص القرن الثاني الهجري ٢٣
ثانيا: شيراز في نصوص القرن الثالث الهجري ٢٤
ثالثا: شيراز في نصوص القرن الرابع الهجري ٢٦
رابعا: القرن الخامس الهجري ٣٠
خامسا: القرن السادس الهجري ٣١
سادسا: القرن السابع الهجري ٣٢
سابعا: القرن الثامن الهجري ٣٣
ثامنا: القرن التاسع الهجري ٣٤
خاتمة ٣٤

(طرق الحرير القديم) المعبر الثقافي والحضاري لأنتشاء اللغة الآرامية........ ٣٨

ملخص: ٣٨
المحور الأول: القبائل الآرامية لغتهم؛ سهولة الكتابة وعوامل الأنتشار ٤١
المحور الثاني: الأنتشار اللغوي والحضاري ٤٥

مذهب الإمام الشافعى ببلاد الشام وأثره على الجانبين السياسي والفكرى خلال القرنين الثانى والثالث الهجرى/ الثامن والتاسع الميلادى " ٦٥

المستخلص: ٦٥
المقدمة: ٦٦
أولاً: – الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام: ٦٦
ثانياً: – الأوضاع السياسية لبلاد الشام ومدى أثرها على مذهب الإمام الشافعى: ٦٧
ثالثًا: – مذهب الإمام الشافعي: ٧١
رحلات الشافعي فى طلب العلم: ٧٣
– مذهب الشافعي وانتشاره: – ٧٥
تلاميذ الشافعي ودورهم فى انتشار المذهب: ٧٦
مؤلفات الشافعي وأثرها فى الفقه ببلاد الشام: ٧٨
انتشار المذهب الشافعى ببلاد الشام: ٨٠
الخاتمة ٨٣
قائمة المصادر والمراجع: ٨٤

توميه بيريس السفير البرتغالي إلى الصين، وكتابه (الخلاصة الشرقية) نموذجا للدبلوماسية الثقافية البرتغالية في القرن السادس عشر الميلادي

د. محمد صالح حامد سيد أحمد

جامعة الملك عبد العزيز بجدة

المملكة العربية السعودية

المقدمة

كتاب توميه بيريس Tomé Pires لكتابه بالعنوان (Summa Oriental) الخلاصة الشرقية، تحقيق أرماندو كوريساو، مدينة كويمبرا البرتغال (١٩٧٢م).

ظهرت أحداث الكتاب في توجه المؤلف إلى الهند سنة ١٥١١م بعد عدة أشهر من وصوله إلى مالاكا Malaka حيث عمل في مصنع برتغالي، ومنذ وصوله عام ١٥١١م حيث ساهم انتصار البرتغاليين هناك في الوقت الذي شكل وجود البرتغاليين أول قوافل الأوروبيين في جنوب شرق آسيا.

ألف توميه بيريس عدة كتب:

(حكاية من الشرق) من البحر الأحمر إلى اليابان، كتبها في مالاكا والهند بين سنوات ١٥١٢ - ١٥١٥م.

وكتاب فرانسيسكو رودريغس Francisco Rodrigues، رحلة في البحر الأحمر، قواعد فلكية، وخرائط كتبت ورسمت في الشرق قبل ١٥١٥م.

الخلاصة الشرقية

تكونت الخلاصة واحتوى الكتاب الأول على وصف للمناطق الواقعة بين مصر وكامبايا Cambaia في الهند مرورا بالجزيرة العربية وبلاد فارس ومملكة هرمز في الخليج العربي.

ألف توميه بيريس كتابه بين سنوات ١٥١٢ - ١٥١٥م وشهد أحداث هجوم أفونسو دي ألبوكيرك على عدن.

زار توميه بيريس هرمز ومنطقة الخليج العربي، وكتب عن الإسلام والتصوف هناك، وعكس معرفته حينما تكلم عن أحوال المسلمين في الهند، والفرس وبقية عناصر المسلمين، وكانت كتاباته شاهد على هجوم أفونسو دي ألبوكيرك الثاني على هرمز سنة ١٥١٥م.

بالمقارنة بشخصية أخرى بالكتاب الثاني لديوارت باربوزا Duarte Barbosa إشتمل الكتاب على معلومات مهمة عن، وحققه مع وضع ملاحظات عليه أغسطو ريس ماكادو لشبونة Augusto Rais

Machado (١٩٤٦م)، واعتمد التحقيق على نسخة تنسب إلى فرناندو دي ماجالهاس Fernando Magalhães في سنة ١٨١٢م والتي وصفت هرمز وبلاد فارس وجزر الخليج العربي، واحتوت على معلومات عن معارك الشاه اسماعيل الصفوي ضد الأتراك العثمانيين سنة ١٥١٤م.

كذلك وجدت إشارات إلى مدن رأس الخيمة، وأم القيوين وغيرها:

الكتاب الثالث تاريخ اكتشاف، واحتلال الهند من قبل البرتغاليين

Crónica de Descobrimento e conquista de Índia pelos portugueses .

مجهول المؤلف نشره المتحف البريطاني، وكتب مقدمته لويس دي ألبوكيرك

Leitura de Adélia Lobato

كيومبرا الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

لذا فيعتبر أن توميه بيريس ألف كتابا شاملا ضخما غزيرا في مادته العلمية، بالرغم من أنه لم يثبت أنه زار الخليج العربي، وإنما كتب معلومات دقيقة في مصادره التي توفرت له كما ذكر البروفيسور أنطونيو فارينيا.

عرف لويس فيليبي في مقال نشر عام ١٩٨٥م الإمبراطورية البرتغالية في آسيا في القرن ١٦م كنظام إجتماعي واقتصادي هجين، نصف ليبيرالية، نصف دولة، نصف إعادة توزيع، نصف تخفيضات أسعار، حيث إكتسب هذا الهيكل شكل شبكة أو نظام إتصال بين مساحات متعددة امتدت عبر مناطق بحرية وقارية شاسعة، غير متجانسة من وجهة النظر الجغرافية والسياسية والإجتماعية والعرقية، واللغوية وبهذه الطريقة أصبح الفضاء عاملا رئيسيا قد لعب دورا مهما.

كما نشير هنا إلى المناقشة العلمية التي قادتها ديجانيرة كوتو في (المستشرقة الفرنسية) مقالها (الحدود والفضاءات الحضرية المدنية الضخمة في تكوين الإمبراطورية البرتغالية في آسيا من هرمز إلى مالاكا في النصف الأول من القرن السادس عشر، وذلك بالرغبة في إدراك أن تلك الحدود المشار إليها في الإمبراطورية البرتغالية في الشرق، يكون توجيهها من لشبونة البعيدة بحوالي خمسة آلاف ميل، كانت التوجهات السياسية والاقتصادية أو الدينية للتاجر البرتغالي موجودة، وتطمح بلا شك إلى الحفاظ على تماسك الكل، لكن هذه التوجهات أعيد صياغتها في بعض الأحيان من قبل فئات مختلفة من السلطة: إما من قبل النخب المستنيرة التي سادت حيث ولدت في البرتغال أو الكاستيس (المولودون في ولاية الهند، لآباء حضريين ومجموعات من المستيز أو التجار الآسيويين الذين يظهرون بذلك خطوط الكسر بين وصلات الشبكة كما إستفاد من تجزئة معينة للمجتمعات المحلية على اتصال مع البرتغاليين، فقد تصادفت أن المصالح والإستراتيجية الفردية للمجموعات كانت متقدمة على

السياسات الحضرية، مما يدل على قدرتها على التكيف؛ في حين أن الأخيرة كانت تعبيرا عن الفصائل المختلفة داخل الملكية البرتغالية، قد يمكن التحقق من ميل هذه الجماعات لإستغلال الشبكة في عدد لا بأس به من النصوص في العصر الحديث، الأول إنهاء في هذه الحالة الإخطارات السياسية أو الإقتصادية أو (الآراء) التي يطلبها الملوك من الدائرة الأولى من أقاربهم الواقعة على أعلى مستوى للإدارة في آسيا مثل النصب التذكارية المتعلقة بتجارة الفلفل عام ١٥١٤٥م وفي عام ١٥٤٧م بشأن السياسة الإقتصادية التي يجب إتباعها فيما يتعلق بالعثمانيين الذين استقروا في البصيرة منذ العام السابق كمظهر من مظاهر الإستقلال الذاتي بين النخب الإمبراطورية.

لذا فإن حركة الرجال عبر مختلف قطاعات الشبكة تؤذي إلى فرضية أخرى: الوجود المطلق للحدود، ومع ذلك فإن المبتدأ التنظيمي للعلاقات الدولية وقاعدة "تمثيل علاقات الفترة التاريخية" أقرن إن فكرة الحدود مجردة في حد ذاتها تشكل شبكة الإمبراطورية فنجد أن المؤرخين البرتغاليين الكلاسيكيين في القرن ١٦م مثل دوارتي باربوسا O livro Duarte Barbosa، تومية بيريس، أو جواو دي باروس João de Barros (حوليات تاريخ ما وراء البحار ٢٠٠٢م)، الذين أسسوا في كتاباتهم حلقة الممتلكات الإمبراطورية في آسيا، سعوا إلى اخفاء التماسك على المجموعات الجغرافية والجيوسياسية، وبالتالي الحد من الحدود، لهذا إستخدموا القياس الجغرافي ومجموعة المراجع الكلاسيكية والعلمية (مأخوذة أساسا من بطليموس) أو تقنيات إستطرادية مختلفة (مثل تلك الخاصة بجواو دي باروس في الصين).

كما قدم الرحالة باروس Barros في وصف شبه الجزيرة في سريلانكا، كولمبو، مثالا ممتازا آخر للدقة وخطط الغزو البرتغالي الإقليمي للهند (١٥٠٦ – ١٥٩٨م).

الدراسة

ذكر البروفيسور أنطونيو فارينيا في مصادره الخاصة المستخدمة في رسالة الدكتوراه المقدمة إلى جامعة لشبونة بعنوان (البرتغاليون في الخليج الفارسي) أشار إلى كتاب ترميه بيريس الخلاصة الشرقية Summa Oriental قراءة وملاحظات بواسطة أرماندو كورتساو كويمبرا سنة ١٩٧٨م في كتاب تومية بيريس يقول أنطونيو؛ من الصعب تحديد ما إذا كانت فكرة تأليف أطروحة في الجغرافيا الشرقية قد أتت من تومية بيريس نفسه أم أنها نتجت عن فكرة صريحة تمت صياغتها بقلم أفونسو دي ألبوكيرك قبل مغادرة الصيدلي من الهند إلى مالاكا، بعد ذلك إلتزم الحاكم الشهير بتعزيز بتعزيز الوجود البرتغالي في آسيا بناء شبكة واسعة من المراكز التجارية والحصون تكملها سياسة التقارب مع بعض القوى الآسيوية مجموعة واسعة وصارمة من المعلومات عن المجالات التي تهم البرتغاليين بشكل

مباشر أو غير مباشر، هذا هو بالضبط هدف الخلاصة الشرقية؛ تقديم بانوراما واسعة ومفصلة لجميع مناطق آسيا البحرية التي يمكن التاج البرتغالي من حيث التدخل المريح في الأسواق الآسيوية.

علاوة على ذلك فإن التجارة والبضائع هي الأسس الأولى للمعاهدة من قبل توميه بيريس الذي كتب صراحة أن صفقة البضائع ضرورية للغاية لدرجة أنه بدونها لن يبقى العالم على قيد الحياة، وأن هذا ما يميز ريجينوس، أنه يجمل محلات رائعة، كنبيل المدن، وما الذي يجعل الحرب والسلام.

النية البسيطة لعمل الصيدلي توميه بيريس، وبالتالي تقدم نفسها على أنها مجرد وصف للأراضي التي تحافظ على روابط تجارية مع مالاكا، جميع المناطق المتبقية والتي هي ليست من أجل البضائع تم تهميشهم بشكل منهجي في جنوب الخلاصة الشرقية، لأنها ليست سيئة السمعة، هذا البرنامج المنصوص عليه من الأسطر الأولى من العمل تم تنفيذه بشكل فعال كما أداه توميه بيريس بطريقة [1] منهجية بدءا من البحر الأحمر حيث يصف كل آسيا البحرية، ويسلط الضوء في كل منطقة على الموانئ الرئيسية والبضائع التي يتم تبادلها هناك، والأسعار المعروضة والعملات والأوزان والمقاييس المستخدمة، ورسوم التعريفات الحالية وأسعار الصرف المعمول بها والطرق المتبعة وجداول السفر التي تمثل بها.

ومع ذلك تتم في الوقت نفسه إثراء المبلغ الشرقي بشكل كبير ببيانات أخرى مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بواقع السوق وبالتالي فيما يتعلق بالعديد من المناطق المشمولة، يوفر الصيدلاني البرتغالي الكثير من المعلومات التكميلية لاسيما حول طبيعة الأنظمة السياسية المعنية، ومعتقدات غالبية السكان، والممارسات الثقافية، والإمكانات العسكرية، والسفن المتاحة محليا، والوجود الفعلي والوضع للجاليات الأجنبية، وكذلك بعض الخصائص اللغوية، حيث كانت هذه البيانات مفيدة في معظم الأحيان لحالات على الفور بالنسبة للمستودع الإمبراطوري البرتغالي، حيث يمكن أن تكون حاسمة في إختيار أشكال التقريب والعلاقة لتثبيتها فيما يتعلق ببعض المناطق الآسيوية الأقل شهرة.

إن المحتوى الكامل للخلاصة الشرقية التي ألفها توميه بيريس والتي ظل المخطوط في وقت إعداده غير منشور، وكان تداوله محدودا للغاية، أصبح منشورا اليوم من خلال نسخة واحدة من القرن السادس عشر للمخطوطة الأصلية (والتي أصبحت الآن موضوعا جديدا) والتي كانت سوف ترسل إلى لشبونة، موجهة إلى الملك مانويل الأول الذي حكم من (١٤٩٥ – ١٥٢١م) قبل رحيل الصيدلي (العطار) والسفير إلى

(١) أنطونيو فارينيا، (البرتغاليون في الخليج الفارسي ١٥٠٧ – ١٥٢٨م) مقدمة إلى جامعة لشبونة للحصول على درجة الدكتوراه غير منشورة ١٩٩١م، ترجمت بواسطة د. محمد صالح حامد سيد أحمد إلى اللغة العربية ص. ٤ – ٣٦.

الصين عام ١٥١٦م، وعن تنظيم العمل كما يظهر في هذه المخطوطة المحفوظة اليوم في باريس، وقد رسمها محررها الأول على النحو التالي:

الكتاب الأول: من مصر إلى كامبايا متضمنا أقساما عن العرب وبلاد فارس، وكامبايا، والكانادا، ونارسينجا، بمالايار.

الكتاب الثاني: كامبايا إلى غوا بما في ذلك أقسام عن ديكان وغوا.

الكتاب الثالث: من البرتغال إلى الهند الصينية، بما في ذلك أقسام البنغل، وأراغون، وبيجو، وسيام، وبراما، وكمبوديا، وتشامبا، وكوتشينشينا.

الكتاب الرابع: من الصين إلى بوزينو ولوكاو بما في ذلك أقسام عن الصين، وجاوة، وجزر سونيا وجزر مالوكو وسيلان وليشيوس واليابان وبوزينو ولوسويس.

الكتاب الخامس: قسم واحد مخصص لسومطرة.

الكتاب السادس: قسم واحد مخصص لملاكا.

أعاد توميه بيريس أطروحته الجغرافية في فترة الزمنية بين سبتمبر ١٥١١م، تاريخ أول وصول على الساحل الهندي وأبريل ١٥١٦م تاريخ المغادرة النهائية إلى الصين في أسطول فيرناو بيريس، ويمكن وضع نهاية واختتام الخلاصة الشرقية دون شك كبير قبل نهاية عام ١٥١٥م، حيث أن الإهداء موجه إلى سيدنا الملك وتأليفه أخيرا، حيث يذكر بالفعل أقسام العمل المختلفة، ويقدمها على أنها عمل مكتمل ويذكر "قلادة الفارس أفونسو دي ألبوكيرك" كما لو كان لا يزال على قيد الحياة.

من الطبيعي أن يبدأ الكاتب البرتغالي في جمع المصادر لتكوين أطروحة بعد وقت قصير من وصوله إلى الهند، وزلا كما فهمت ضخامة ودقة الأخبار التي تمكن في الحصول عليها عن المناطق الآسيوية الممتدة من البحر الأحمر إلى رأس كوموريم، والتي تحتل جزءا كبيرا من شرق سوما، (الخلاصة الشرقية).

حيث بقيت قي حالة ركود فقط في الموانئ الهندية لفترات محددة نسبيا، ولكن من ناحية أخرى، يبدو أن العديد من التقارير المتعلقة بشبه الجزيرة العربية وبلاد فارس تعود إلى النصف الثاني من عام ١٥١٢م من حيث وصف عدن على سبيل المثال، في محاولة الغزو التي قلم بها أفونسو دي ألبوكيرك في شهر مارس من نفس العام ولا تتضمن الإشارات إلى الشاه اسماعيل شاه فارس اي أخبار عن معركة كالديران التي وقعت سنة ١٥١٤م حيث تعرضت القوات الفارسية لهزيمة ثقيلة ضد العثمانيين.

تحتوي مخطوطة باريس على (٦٠) صفحة كبيرة مكتوبة على كل الجانبين بخط يروي عادي يعود تاريخه إلى أوائل القرن السادس عشر، مع توزيع المحتويات التالية تقريبا:

- غرب آسيا (مصر الجزيرة العربية وبلاد فارس)، ٦ أوراق.
- جنوب آسيا (الهند وسيلان) ١١ ورقة.

- شرق آسيا (الصين ولنكيوس واليابان) ٣ ورقات.

- البر الرئيسي لجنوب شرق آسيا، ٤ ورقات.

- جنوب شرق آسيا، ٢٦ ورقة.

وهكذا يبدو أن النواة الإعلامية الأساسية للخلاصة الشرقية من الناحية الشرقية من ناحية الكمية، تتعلق بجنوب شرق آسيا، التي تحتل مساحة بضعف مساحة جميع المناطق الآسيوية الأخرى مجتمعة (أي ٤٠ صفحة من المجموع ٦٠ صفحة) هذه الأهمية الإستثنائية التي ينسبها توميه بيريس إلى ذلك الجزء من آسيا وخاصة إلى إنسوليند‌يا، لها عدة تفسيرات، ومن ناحية أخرى جاء البرتغاليون إلى الشرق لأسباب تجارية بشكل رئيسي، بحثا عن أبرز الأدوية والتوابل وأكثرها قيمة.

ولقد كانت المنتجات الطبيعة التي كانت من السلع المرغوبة كانت قادمة على وجه التحديد من جنوب شرق آسيا وخاصة من الأرخبيل الأندنوسي الكبير Indonesia، بعضها مثل (القرنفل أو المكسرات على سبيل المثال) حيث لا توجد في أي جزء من العالم، من الناحية الأخرى، كان الجزء المعزول من آسيا الممتد من سومطرة إلى الشرق والذي يضم أكثر من ثلاثة آلاف جزيرة وكانت تمثل مصدرا مهما بالنسبة للأدوية في ذلك الوقت من أكثر الأنحاء في العالم عموما وأقلها شهرة [1].

(١) أنطونيو فارينيا، المرجع السابق، ص. ٣٦.

مصادر كتابة الخلاصة الشرقية

يمكن أن تكون تلك المراجع الأسطورية مستوحاة من القراءة النهائية كمقاطع من قصة سفر ماركو بولو، والتي سبق ذكرها، وأيضا من المعرفة المحتملة لكتاب جون دي ماندفيل في كتاب العجائب وهو سرد معروف ورائع للرحلات عبر الأراضي الخارجية، أعده عالم فيزيائي بلجيكي مجهول في منتصف القرن الرابع عشر، وانتشر على نطاق واسع في جميع أنحاء أوربا، من المثير للفضول وجود نسخة مخطوطة من هذا العمل في المكتبة الملكية في ذلك الوقت عندما كان توميه بيريس صيدليا للعائلة المالكة البرتغالية، ومع ذلك وفي الواقع يجب التأكيد على أن الكاتب البرتغالي يكشف عن قدر كبير من الشك فيما يتعلق بكل هذه الأساطير، وبالتالي فيما يتعلق باحتمالية وجود جزيرة النساء، قال إن هذه الرسوم تكمن في الناس، كما هو الحال في شعب أمازون الآخرى، إن ذلك التعبير حيث يستوعب في القليل من تلك النحلة. باختصار بالنسبة له فإن معيار الخبرة أو معلومات الشهود الموثوق بهم قد حل محل المعتقدات الكتابية القديمة.

تم تسليط الضوء بشكل واضح على عمليات تكوين الخلاصة الشرقية من قبله، بدءا من الحاجة إلى "الفقراء في الكتابة، للعديد من الأشياء العظيمة جدا، والتي أتيحت له الفرصة لملاحظتها في تجواله الآسيوي ولكن ليس ذلك فحسب، حيث أكد توميه بيريس، منذ افتتاح أطروحته الجغرافية، أنه لديه

الإجتهاد في التحقيق" مع أطراف ثالثة في كل ما لم يره، ولـم يـتكمن مـن الـذهاب شخصيا إلـى أمـاكن معينـة لإجراء تحقيقاته، والثقة الكاملة في "من كـان هنـاك" ويحمل صفة الشاهد، مجموعة واسعة من المخبرين[١].

من هم المخبرين؟ من ناحية أخرى هناك مسؤولون آخرون في الإدارة البرتغالية لولاية الهند مثل القباطنة أو البحارة، أو المشـرفين بـالتردد على مالاكـا باسـتمرار حيث أبلغـوا عـن الإنطباعـات التي تـم جمعهـا خـلال رحلات الإستكشاف التي تم إجراءها في جميع أنحاء آسيا البحرية مـن ناحيـة آخرى، تـم الإتصـال بالتجـار والقباطنة والسفراء الآسيويين من جميع أنحاء العـالم في مالاكـا، حيـث يـتم تسـجيلها في تقـارير مكتوبـة أو في أعمال رسم الخرائط حيث كان من الصعب إعـادة بنـاء نوع الخط المستخدم لكل منطقة آسيوية، حالـة بحالـة، ومـع ذلـك هنـاك مثـال واحـد يسـتحق الـذكر بشـكل خاص، عند التعامل مع مالاكا إذ يرسـم توميـه بيريـس صـورة مفصـلة لتـاريخ تلـك المنطقـة قبـل الغـزو البرتغالي، وفي نطاق معينة يبدو أنـه يقـوم بنسـخ وثـائق مكتوبة من أصل ماليزي أو جاوي، كـما سيـذكر مـرارا وتكرارا "كورونيكواو" التاريخ الخاص بسكان جاوة، مما يشير إلى أنه كان من الممكن أن يكـون الصـيدلاني البرتغالي المؤلف قد تمكن من الوصـول إلـى واحـدة من الرسومات الأولى من سيجارة ملايو، حيـث كانـت السجلات التاريخية الملاوية التي تم تجميعها في أوائل القرن السادس عشر الميلادي.

التاريخ التحريري للخلاصة الشرقية

٢. التاريخ التحريري

كـان توميـه بيـريس قـد بـدأ العمـل علـى مخطوطـة الخلاصة الشرقية بعد وقت قصير مـن نزولـه مالاكـا في عـام ١٥١٢م، واكتمـل العمـل بعـد اقـل مـن ثـلاث سـنوات، حيـث إعتـزم الصـيدلاني تقديمـه إلـى الملـك البرتغالي بمجرد عودته إلى البرتغال، ويبـدو أن مقطعـا مثيرا للجدل إلى حد ما، من "أساطير الهنـد" أكـد هـذا التسلسـل الزمني حين ذكـر غاسـبار كوريـيا في سـجله التاريخي غيـر المنشـور في ذلـك الوقـت، أن غورنـادور أرسـل لـه كتابـا يقـدم لـه وصـفا لثـروات وعظمـة ملـك الصين، والـذي بدا مشكوكا فبه في تصديقه وتـم الـدفاع عنه، ولم يشر المؤرخ هناك إلى عمل آخر غير معروف لتوميه بيريس عن الصين، ولكن إلى الخلاصة الشـرقية نفسها، قال كوريـيا: كـان أفونسـو دي ألبـوكيرك الـذي كان سكريتيرا للحاكم الشهير لولاية الهند الوليـدة، قـد تعامل بثقة مع أطروحة حول الجغرافيا الشرقية، والتـي تصف في الواقع ثروات وعظمة الصين، أيضا من حيث المفاجأة كما هو مذكور؛ هناك الأشياء التي قيلـت عـن الصين في مالاكا "سيصدق بها الحقيقة في البرتغال أكثر منها في الصين"[٢].

---

(١) أنطونيو فارينيا، المرجع السابق، ص. ٣٨

(١) توميه بيريس، المرجع السابق، ص. ٢٣٨ – ٢٤١.

لم يعد توميه بيريس إلى البرتغال بعد إقامته في مالاكا حيث أعاقت البعثة الدبلوماسية إلى الإمبراطورية طريقة، وبالرغم من أن ذلك كان قبل رحيل فيرناو بيريس دي أندرادي نحو ساحل الصين، يفترض أن يكون الصيدلي قد أرسل النسخة الأصلية من سوما أورينتال (الخلاصة الشرقية) Summa Oriental إلى لشبونة، على متن السفن المهنية للهند، حيث كان النص مكرسا بشكا صريح للمباركة، بالنظر إلى الإصرار الذي سعى به التاج البرتغالي في ذلك الوقت للحصول على أخبار عن الشرق، فليس من المنطق أن تكون تلك الخلاصة الشرقية كانت ستبقى في الأراضي الشرقية، وهكذا وصلت النسخة من المخطوطة التي تحمل التوقعات إلى البرتغال عام ١٥١٦م ولكنها إختفت في الأرشيف الملكي، وباستثناء غاسبار كوريا، لا يشير أي سجل برتغالي من القرن السادس عشر إلى عمل توميه بيريس.

مملكة الصين

ما الذي يميز كتاب (خلاصة المشرق) عن غيره من الكتب الجغرافية؟ أفرد توميه بيريس جزءا واسعا من موضوع بلاد الصين في مؤلفه (خلاصة الشرق). حيث يقول:

وفقا لما تقوله شعوب بلاد الشام (اطلبوا العلم ولو في الصين) (وكانت الأشياء في الصين عظيمة وجميلة). وهناك على الأرض مثل الناس والثروات، والمضاربة بين الدول وغيرها الكثير من الروايات التي يعتقد أن معظمها سيكون صحيحاً. أرض الصين رائعة، بها خيول جميلة وبغال كما يقولون بأعداد كبيرة).

كانت أول رحلة استكشافية برتغالية قد غادرت إلى ساحل الصين شارك فيها خورخي الفارس، مالاكا عام ١٥١٢م وكان إمبراطور الصين آنذاك تشنغدة. (حكم من ١٥٠٥ – ١٥٢١م).

(يملك ملك الصين أمما كثيرة، ذو أرض وشعب عظيمين، إنهم أهل الصين البيضاء فهم مثلنا من بياضنا، وهم يرتدون معظم الملابس القطنية السوداء ويرتدون تنانير بطول خمسة أرباع مثلنا تماما، فهي وتسعة جدا، وفي الشتاء في الصين يرتدون الجوارب على أرجلهم، وفوقها أحذية جيدة الصنع لا تصل من الحافة إلى الأعلى، ويحضرون ملابسهم المبطنة بجلود الغنم وغيرها من الجيوب، يصدرون الفراء، وكذلك يصدرون أغطية شبكية مستديرة من الحرير، مثل المناخل السوداء التي لدينا في البرتغال (١)[1].

هؤلاء السفراء لا يرون الملك عندما يذهبون إليه، فقط يرون شكل الجسد شكل غير واضح من خلف الستائر، ومن هناك يستجيب مع سبعة أشخاص ينتظرون الكلمة عندما يقولها.

والسفراء عموما يتركون كل شيء من الهدايا هناك ويذهبون دون أن يروا وجه الملك.

ربما استقى توميه بيريس معلوماته عن الصين من

(١) توميه بيريس، المرجع السابق، ص. ١٥٠.

ماركو بولو لأن لقب الإمبراطور في الصين كان وراثيا، وينتقل تقليديا إلى الإبن الأكبر للإمبراطور، إلا أنه إلتبس عليه الأمر حينما ذكر أن ملك الصين لا ينتقل من الأب إلى الإبن

أو ابن الأخ إلا من خلال انتخاب مجلس المملكة بأكملها والذي يكون دائما في مدينة كامبارا حيث يوجد الملك، ويصبح الماندرين الذي يوافق عليه ملكا، ربما حدث هذا التناقض في الروايات المتناقضة من طقوس استقبال السفارات الفرعية في العصر الامبراطوري الصيني من المعلومات الشفهية التي جمعها توميه بيريس من مالاكا.

يؤكد توميه بيريس أنه لا يمكن لأي إنسان أو حيوان أن يخرج من الصين إلى نواحي سيام، أو جوا أو مالاكا، وباسيم وأكثر من ذلك دون إذن من حكام كانتوم، وإذا كان أي أجنبي في أرض الصين لم يعد بإمكانه المغادرة إذا لم يأذن له الملك بذلك وبهذا الإذن، إذا كان غنيا تم يبقى له شيء وأي جزءه تمر على مراكز الشرطة المخصصة لها بالمرساة تفقد، حتى أن المزرعة ملك للملك، ويموت الناس من أجلها.

وهذا ما يفسر بقاء توميه بيريس في الصين سفيرا لبلاده دون أن يتمكن من العودة إلى البرتغال [1].

المرأة الصينية

تبدو المرأة الصينية وكأنها قشتالية، ولديها تنانير بها كشكش وطبقات، وتنانير أطول مما كانت عليه في أرضنا، وشعرها الطويل مجعد بلطف فوق رأسها، ويتم إلقاء العديد من المسامير الذهبية فيها لتثبتها، وحولها الأحجار الكريمة التي لديها، وعلى مجوهراتها الذهبية الناعمة، وعلى أذنيها وعنقها، يصنعون الكثير من اللون الأبيض على الرواحل والعربات، وهم مكسوون تماما.

يصدرون الأحذية والأقمشة الحريرية المنقطة، يعملون بجد ويتقدمون بسرعة، هم من بياضنا وعيونهم صغيرة ضيقة والبعض الآخر كبير والأنوف صغيرة.

مكان إقامة الملك

أرض الصين مدن وحصون كثيرة كلها حجرية، والمدينة التي يسكنها الملك تدعى كامبارا لديها شعب عظيم تتكون من العديد من النبلاء مع عدد لا يحصى من الخيول، لا يرى الملك دائما باستثناء قلة قليلة منهم.

الممالك والملوك التابعون لملك الصين هم روافد يدفعون له بارباس (مبالغ كبيرة)، وهم ملك تشامبا، وملك كوشيشينا، وملك ليكوس وملك جامبون.

الممالك التابعون دون التزام الأقران موجودون تحت نفوذ ملك الصين.

يرسل ملك جوا، وملك سيام، وملك باسيم، وملك مالاكا، سفراءهم بختم الصين إلى ملك الصين كل خمس سنوات فكل عشر سنوات يرسلون له الفلفل

---

(١) توميه بيريس، نفس المرجع، ص. ١٥٢.

والصندل الأبيض وبعض الخبز والأحجار الكريمة والطيور المحنطة وهؤلاء السفراء يمكن لهم دخول الصين والمغادرة منها.

مراكز التجارة البحرية في مملكة الصين

بدءا من كوشي إلى سواحل الصين وصولا إلى الحصون أول عينام، ونتساءل أين الجوفار الذي يذهب إلى الصين ونانتو وكوانتوم وتشانشو وغيرهم.

دعنا نقول شيئا من كوانتوم الذي هي أعظم من الجميع وأين المعالجة الكاملة لهذه القضايا، فعيتام هذا خليج وساحل بلا نهر، وله بعض الجزر في البحر بالقرب منه حيث يتم صيد الجوفار، ونجمع منه جراما.

أما مدينة كوانتوم هي المكان الذي تفرغ فيه مملكة الصين بأكملها كل بضاعتها، وهناك الكثير من المساحات الكثيرة من البر الرئيسي وكذلك من البحر، مدينة كوانتوم هي مصب نهر كبير به ثلاث قامات وأربع قامات في البحر، المدينة تأتي من المدخل تربض على أرض تسمى بدون تل وفيها جميع البيوت الحجرية ومحاطة بسور، والملاحظ أن هؤلاء الملوك في الصين لديهم أختام عندما يرسلون سفراءهم يقومون بالتجارة في داخل المدينة وإذا لم يفعلوا ذلك بالخارج، فإنهم يعملون على بعد ثلاثين فرسخا من كوانتو وكوانتوم إليه، وقد لوحظ أن مجموعة من المخيرين من المحلفين الذي يعملون مع تومبه بيريس قد زاروا مدينة كانتاو في الوقت الذي كان يتم فيه تأليف سوما أورينتال (الخلاصة الشرقية)، زار الصين خورخي ألفاريس في عام ١٥١٣م وهو أحد معارف توميه بيريس، الذي كان بإمكانه عند عودته إلى مالاكا، تزويده بمعلومات عن عالم الصين، لكنه لم يكن لديه فرصة لزيارة المدينة الصينية الجنوبية العظيمة (١).

جزر هومدي ترسو قصب مالاكا

على هذا الجانب من كوانتوم بيرا مالاكا، توجد بعض الجزر القريبة من البر الرئيسي لنانتو، حيث توجد الموانئ المحددة بالفعل لكل دفلة، سيليست، بولو تيمون وغيرها. وإلى حد أن سفينة النيلة المذكورة ترسو هناك، فإن قائد وصاحب نانتو جعلها معروفة لكوانتوم، وسرعان ما يأتي التجار لتقدير ومعاينة البضائع ويأخذون حقوقهم، ثم يحصرون لهم البضائع المصنوعة من كل جانب.

طريق قباطنة البر والبحر

قيل في الصين أن كل من يجلب البضائع من الجزر يكسب ثلاثة أربعة أو خمسة مقابل عشرة ولي، وكانت لديهم هذه العادة لأنهم لا يأخذون الأرض منهم، لأنهم يحصلون على حقوق إخراجهم البضائع، بالإضافة إلى المدخل والأهم هو الخوف من عدم انتزاع المدينة منه، لأنه يقال أن مدينة كوانتوم غنية، وغالبا ما تأتي الأشياء معها، كان هيتو هو قائد هذه المدينة، والشخص المسؤول وفي كل عام يكون نقيبا من أمر من الملك، ولم يعد بإمكانه أن يكون كذلك، حيث يشبه القبطان الآخر للبحر قبطان الأرض مع سلطة قضائية عليهم حيث يتم تغيير كلاهما كل عام.

شبكة العلاقات الدبلوماسية

كان فاسكو دي جاما قد رسم السياسة الدبلوماسية للبرتغال بعد توسعها من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، فبدأ بالإهتمام ببناء شبكة من التجارة والقوة منذ سنوات (١٥٠٠ - ١٧٠٠) ولم تكن شبكة جامدة ولقد تميزت بأنها متغيرة (متحركة) تدريجيا أحيانا ومتغيرة بشكل ملحوظ في بعض الأحيان مما سمح لها بالتوطين الذي كان عليهم إيجاده، وعمل طرق ومسارات إليه، حيث كان البرتغاليون فاعلين، وهنا يشير أنطونيو فارينيا إلى تبرير وجود الإستعمار البرتغالي حيث خلق ديناميكية في التجارة بين الهند والعالم، والذي يهمنا التركيز عليه هو البحر الأحمر في هذا السياق، لذلك تميزت تلك الدول التي تقع في جنوب شرق آسيا في سلطنات كلا من مالاكا وكلوة والتي حكمت في شرق أفريقيا في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي بواسطة أسرة يمنية من الأشراف (المهدلي) تبع (جنوب تانزاتيا) وبالنسبة لكلوة أو جاراتها الشمالية ممباسا ومالندي والتي ظهرت منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وليس لدينا أية معلومات عن تأسيس تلك الدول، ومن خلال النمو والإزدهار لتجارة المحيط الهندي وفي مثلث كوجارات، البحر الأحمر، شرق أفريقيا، كأهمية كلوة على تجارة الذهب[١].

من هنا صورت ملحمة اللوسيادة حالة الإزدهار الإقتصادي في الهند، وبروز أهمية ميناء جدة في فترة تعرف فيها كامويش على أوضاع البحر الأحمر، إضافة إلى بقاء الشاعر فترة في الهند كذلك أجبر على البقاء في موزمبيق مدة عامين قبل أن يعود إلى لشبونة ١٥٧٠م.

لذلك كان الشاعر معتادا على الملاحة في البحر الأحمر في حروب البرتغاليين ضد الدولة العثمانية (الأتراك)، وهذا ما يفسر قول كامويش أنه كان يخرج في دوريات بحرية مسلحة في المحيط الهندي والبحر الأحمر بحثا عن العثمانيين (الترك) لقتالهم.

الدبلوماسية البرتغالية

في الوقت الذي ألف فيه توميه بيريس مخطوطة الخلاصة الشرقية كان أحد الرواد الأوائل للعمل الجغرافي الضخم الذي قدمه الإمبراطور البرتغالي.

وبرزت معلومات توميه بيريس الجديدة بالنسبة للبرتغاليين عن الصين، وعرفت الخلاصة الشرقية باحتواءها على الجديد وانفرادها بالمعلومات عن بلاد الصين.

وبينما أقام توميه بيريس في مالاكا وكتب كتابه الجغرافي الشهير (الخلاصة الشرقية) جاءه التوجيه الإمبراطوري له بتمثيل البرتغال كسفير برتغالي لدى إمبراطورية الصين، غادر الهند متوجها إلى الصين التي لم يغادرها أبدا بعد ذلك، حيث منع من مغادرة الصين في الوقت الذي كان قد أرسل نسخة من الخلاصة الشرقية إلى البرتغال.

(١) أنطونيو فارينيا، المرجع السابق

ولدينا مغامر وثقافي ودبلوماسي برتغالي جاء بعد تومية بيريس هو ديوغو دي مستيكا، عمل مترجما وجاسوس وطبيب للسلطان قطب الدين .. في كوجرات (١٥٢٦ - ١٥٣٧م) ابن شمس الدين مظفر شاه الثاني، وحاكم دولة الهند، نونو داكونها (١٥٢٩ - ١٥٣٨م) على المستوى الدبلوماسي لم يكن تأثيره ضئيلا خلال المفاوضات السياسية بين هرمز الخصمين، شارك في المفاوضات التي قادت السلطان إلى فسخ الإذن البرتغالي في عام ١٥٣٤م لبناء حصن فاساي الواقع على إحدى جزر أرخبيل مومباي، باسين بالبرتغالية "باسيم" كانت المنافس الأكبر لغوا، مدعية مكانة ثاني أكبر مدينة في جميع الأراضي البرتغالية لشبه القارة الهندية، المفاوضات الدبلوماسية حول فاساي، حيث تجاوزت "باسيم" الإطار المحلي البحث وقاموا بتعديل التوازنات السياسية الإقليمية مما أدى في ١٥٣٥ - ١٥٣٦م إلى بناء قلعة ديو البرتغالية والتثبيت الدائم للأوربيين في منطقة مومباي، من ناحية أخرى، بقدر ما يمكن للمرء أن يحكم، لم يقتصر ديرغو نشاذه الدبلوماسي على ولاية غوجرات، حيث تشير مجموعة من المؤشرات المتوافقة إلى أن الجزء الثاني من حياته قد حدث في مسرح عمليات أخرى، وبشكل أكصر تحديدا في البحر الأبيض المتوسط، ما لم يكن يحمل الإسم نفسه، فسيكون السفير البرتغالي لدى سليمان القانوني في أعوام (١٥٤٣ - ١٥٤٥م)، بعد أن كان جزءا في عام ١٥٤١م في حاشية أول سفير أرسله إلى الباب العالي مشهودا له، ديوغو دو كوتو الذي ذكره دوارت كاتانهو في عدة فصول من تاريخه عقود آسيا ذكر مهمته مرتين إلى اسطنبول[١].

دوره خلال المفاوضات بين ولاية غوجرات والبرتغال مشهودا.

أدوات (الدبلوماسية)

تعلم اللغات الشرقية

القواميس ثنائية اللغة، والمفاهم في حالة البحارة والتجار في ولاية الهند

كان تعليم اللغات الشرقية المعروفة بصعوبتها مثل لغة الأردو، لغة المندرين الصينية أو اليابانية سببا لتطوير الدبلوماسية البرتغالية التي اهتمت بالأمر مع غيرها من البعثات الأوربية في شرق آسيا في القرنين السادس عشر والسابع ويمكن رؤية الدليل على الجهود اللغوية المبذولة في هده البعثات، في حشد موارد كبيرة للبعثات الأوربية في شرق آسيا في تلك الفترة، كما يمكن رؤية الدليل على الجهود اللغوية المبذولة في هذه البعثات في معرفة الصين بالشخصيات البارزة مثل ماثيو ريتشي (س. ح. ١٥٥٢ - ١٦١٠م) وميشيل روجيري (س. ح. ١٥٤٣ - ١٦٠٢م) وغيرهم.

وقد اعتمد ذلك المجهود على ما وجد منذ أيام حملة

(١) ديجانيرا كوتو، هجرات اللغات والأفكار في آسيا، (جان لويس باكيه جرامونت وبير سيلفان فيليوزات، وميشيل زينك محررا، أكاديمية

فاسكو ديجاما حيث يعد المسرد البرتغالي، المالايا لامي المدمج في الرواية المجهولة لرحلة فاسكو ديجاما الأولى حوالي (١٤٦٠ - ١٥٢٥م) مثالا جيدا على ذلك يحمل العمل عنوان: "هذه هي لغة كاليكوت ولكنه يعرف باسم معجم الفارو فيلهو [١]، ويحتوي العمل على ما يزيد قليلا على (٢٢٠) مدخلا مصنفة حسب الترتيب الأبجدي، ومرتبة في عمودين متوازيين يمكن قراءتها من اليسار إلى اليمين، كل كلمة برتغالية في العمود الأيسر متبوعة.

الدبلوماسية

بكلمة "من أجل" وترجمتها إلى المالايا لامية حيث تغطي الإدخالات العديد من المجالات الدلالية "العبارات المعجمية للحياة اليومية".

أما الأمثلة الثلاثية الأخرى من نفس النوع فقد أورجها بيجا فيتا في روايته عن رحلة فرديناند ماجلان (١٤٨٠ – ١٥٢١م) حيث يعرض لغة "عمالقة باتاغونيا" (صور باتاغونيا) واللغتين الأخريين على التوالي، لغة فيسيان، بيساپان أو السيبيونو) لسكان جزيرة سيبيو في أرخبيل الفلبيني أو لغة الملايو للتجار المسلمين في لغة الملايو على الرغم من تنظيمها المتطابق ظاهريا، والفئات المعجمية التي تشترك فيها مع مسرد ألفارو فيلهو، على الرغم من أن عرضه مطابق لطريقة عرض المسارد البرتغالية تينهو ليتشي والبرتغالية، السيبونو، إلا أن المعجم البرتغالي الملايو لتجار أرخبيل الملايو (الذي يتضمن أيضا بضع كلمات باللغة التاغالوغية) هو الأكثر تفصيلا، من بين المعجمات الثلاثة، حيث يحتوي على ١٥٠ مدخلا، بالإضافة إلى الفئات الموجودة بالفعل في هذه المسارد، تتضمن مدخلاتها (أحيانا في شكل متجانس) إتجاهات الريح، والفئات الزمنية، وأسماء النباتات المختلفة، ومصطلحات بناء السفن، والتحيات البروتوكولية للتجار المسلمين، مع التعابير، تمت ترجمته إلى الأبجدية اللاتينية (سلام عليكوم، سلام عليكم)، ويضاف إلى ذلك تسمية طبية، ومعجم متطور للحياة التجارية (عدة بهارات، وموازين وأنواع من السلع التجارية، ومجموعة متنوعة من الملابس الآسيوية) وتؤكد الإدخالات الأخرى على التسلسل الهرمي الإجتماعي أو تسمية المجتمعات العرقية والدينية المختلفة (الرومي مسيحيا، ومسلما).

وهياكل القرابة، والتسلسل الهرمي للسلطات السياسية. يتم أيضا تسجيل الممارسة اللغوية، الكلمة البرتغالية التي تعني "مترجم فوري" تستحق الإدخال، تليها ترجمتها باللغة الماليزية (جيوروباسا) وتتبعها مباشرة عبارة "كم لغة تتحدث؟" كم عدد اللغات التي تعرفها؟. وإشارة إلى لغة ، (تشيار أمالايو) وفي القسم الأخير، المسرد سرد الأرقام من واحد إلى مليون، بعد

---

(١) ديجانيرا كوتو، المعاجم والمفردات والقواميس في دولة الهند، في القرن ١٦ و ١٧م، ص. ٢٠

(٢) جاء ذكر رسالة شكر وتعظيم في الملك البرتغالي مانويل بمنح.... (وسام) فارس إلى فرناندو فيلهو تقديرا لخدماته في مضيق مكة.

معجم السيبيونو من واحد إلى عشرة فقط.

المنهج التربوي، سباق ملائم لإنتاج المعاجم والمفردات: الكارتينهاس أو الكارثيلهاس.

كانت هذه المسارد التي يستخدمها المترجمون الفوريون بشكل رئيسي معاصرة للكارتيلهاس (أو الكارتيلهاس) على سبيل المثال المقاذع والأدلة المخصصة لتعليم اللغة البرتغالية والتي كانت تسير جنبا إلى جنب مع التبشير، ثم ذكرهم لأول مرة في كوشين، حيث تأسست مدرسة في تاريخ غير معروف ولكن على ما يبدو خلال العقد الأول من الوجود البرتغالي في مالابار منذ قدوم أفونسو دي ألبوكيرك.

المعاجم والمفردات والقواميس في دولة الهند

تشكلت أهمية المعاجم والقواميس في الفترة (١٤٥٣ – ١٥١٥م) حيث عثر هناك على صندوق مرسل من البرتغال مملوء بالكارتينهاس، وسارعوا بإرسالها إلى منزل برتغالي، تم تركيبه في كوشين "حتى لا يتعفنوا على الفور"، كان الهدف تعليم الأطفال القراءة بمساعدة هذه المقاطع، ووفقا للحاكم كانت المدرسة في كوشين تضم بالفعل مائة طفل، كتلاميذ في عام ١٥١٢م أبناء بانيكاس، وأبناء كاسادوس البرتغاليين، وبحلول عام ١٥١٧م كان هناك حوالي ١٥٠ تلميذا، في ذاة العام، تلقى فري أنطوانيو دو لورو، المسؤول عن التدريس في كوشين نفس العدد من المظاريف من البرتغال.

تم تعزيز الدور التربوي الذي لعبته المدرسة في كوشين في عام ١٥٢١م عندما أرسل الحاكم دوارتي دي مينيزيس عامل (مراقب) للمدرسة ومعه خمسون مظروفا وعدة مختارات من سير القديسين ومجموعة كتب دينية من الأرخبيل بالإضافة إلى ما أرسله الملك مانويل مجموعة من الكتب الليتورجية إلى جوا بما في ذلك ٧ كتب تعاليم دينية و ١٥٠ كارتيلنهاس، تم ..... إرسال الكارتيلنهاس في عام ١٥٢١م وبحلول عام ١٥٢٧م كان بها مدرسان وأصبح تداول المعاجم قد بدأ في هذا السياق من تعزيز التعليم مم خلال الكارتينهاس وتطوير محو الأمية الذي رافق التنصير.

أكد وصول اليسوعيون إلى جوا عام ١٥٤٢م وماتلا ذلك من إنشاء كلية سانت بول، على أن عاصمة ولاية الهند هي مركز للثقافة ونقل المعرفة الفكرية.

كان صعود النخب البراهمة المتحولة حديثا أو في طور التحول مصحوبا بإنتاج أدوات لغوية أكثر وأكثر تطورا، سواء في داخل المؤسسات الدينية الأخرى أو في كلية القديس بولس، علاوة على ذلك فقد كان تكاثر المفردات والقواعد والقواميس، والأعمال العقارية بالإضافة إلى نسخ النصوص السنسكريتية والكونكانية، استلزم التحسين المستمر للأدوات المعجمية كما أن إنشاء أول مطبعة تحت إشراف اليسوعي الفالنسي خوان دي بوستامانتي (١٥٦٦م) كان مفيدا أيضا، للإنتاج الفكري، ومع ذلك لم يكن من الممكن أن يحدث هنا الإزدهار لولا المرونة اللغوية للكونكانية، وهي لغة تمتلك سجلات لغوية

متنوعة وكانت مصدرا للأدب الكلاسيكي الذي ربما يعود تاريخه إلى القرن الخامس عشر، وسرعان ما أثار هذا فضول وإهتمام اليسوعيين، ولكن من المفارقة أن هذا الإهتمام لم يكن ليظهر لولا القمع الذي أطلقته السياسة الدينية الجديدة التي صدرت في جوا خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر.

محاولات استئصال اللغة، الدولة، والرهبانيات في مواجهة الكونكانية

بعد غزو أفونسو دي ألبوكيرك عام ١٥١٠م كانت فتوة التسامح مع الثقافة العامية في جوا قصيرة الأجل، وسرعان ما أصبحت التأثيرات المشتركة لمجمع ترنت ومناخ الإصلاح المضاد محسوسة في ولاية الهند، فقد تدهورت علاقة الإدارة الإمبراطورية بالقيم الإجتماعية والمعتقدات الدينية، واللغة العامية للسكان الهندوس في جوا بسرعة كبيرة، إن إنشاء محكمة المكتب المقدس في ٢ مارس ١٥٦٠م وإصدار مرسوم كونستانتينو دي براغانا (١٥٢٨ – ١٥٦١م) في نفس العام، أكمل التحول، أصدر نائب الملك الجديد (١٥٥٨ – ١٥٦١م) مرسوما يحظر الممارسات الإجتماعية والطقوس العرفية لسكان جوا غير المتحولين، أدى هذا الحظر الذي عززه التحيز العرقي والتمييز الديني إلى رحيل السكان إلى الضفة الأخرى، (بيلتودي) وراء الحدود، للإحتفال بالمهرجنات الهندوسية مثل غانيش شاتورثي أو غيرها من الممارسات الإجتماعية التقليدية، وبالتالي سيذهب الكثيرون خارج جوا لتنفيذ الزواج التي لا تزال عامة (لاجناشا فيلار)، أو ساتي، والتي تم إلغاءها في إقليم جوا بموجب مرسوم صدر في يونيو ١٥٦٠م على نفس القدر من الأهمية، من منظور رمزي أيضا من الناحية المادية، كان تدمير المعابد الهندوسية مثل معبد مهالاسا دلفي العظيم في ماردول في ميرنا عام ١٥٦٨م حينما بدأت هذه العملية بالفعل في جزيرة تيسوادي بين ١٥٤٠ و ١٥٤١م لكنها أصبحت أكثر خطورة في ستينات القرن السادس عشر؛ حيث تشير التقديرات إلى تدمير حوالي (٣٠٠) معبد في تالوكا الثلاثة الكبرى (التقسيمات الإدارية بأرديز، سالسيق، وجوا الجزيرة تيسودي وما بين ٤ و ٥ معابد في كل قرية.

استفاد اليسوعيون من اختفاء المعابد، أولئك اليبوعيين المنافسن الفكريين للعلماء البراهمة فمنحوا الفرصة للإستيلاء على (بدلا من تدمير) الكتب المحفوظة في المعابد وبالتالي توجيه ضربة قاتلة للحياة الفكرية والثقافية المكتوبة، التي كانت مرتبطة بالنص النصي، تقليد بورنار في الكونكانية (كما هو الحال في أماكن أخرى في المهاراتية السنسكريتية، حيث يقدم لويس فروس (س. ج. ١٥٣٢ – ١٥٩٧م) دليلا واضحا حول هذا الموضوع، أثناء إقامته في كلية سانت بول في حوا في ١٤ نونبر ١٥٥٩م كتب اليسوعي الشهير التعليق التالي لعناية أخوته في البرتغال:

كان [البراهمي المتحول مانويل دي أليفيرا والذي ناقشه فرويس في مراسلاته] يعلم أنه على الأراضي

الجافة يعيش براهمة يتمتعون بسمعة سيئة في. طائفتهم، والذي في نفس الوقت الذي يطبق فيه مبادئ دينه، قضى ثمان سنوات في تجميع وترجمة أعماله.

مطابع جوا، أدوات الترجمة الثقافية

نظرا لإرتباطها بازدهار الترجمات العلمية وإنتاج قواميس أكثر تطورا في. القرنين السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، تم إنشاء المطبعة في مرافق كاية سانت بول في جوا في نوفمبر ١٥٥٦م وتم وضعها تحت إشراف خوان دي بوستامي، وكان دورها في نشر الأدوات المكتوبة التي لاعن عنها لتبشير وتعليم اللغة العامية بما ملا حاسما في عام ١٥٥٦م حينما طبعت الصحافة، وكذلك مجموعة من النصوص الدينية، والتي قامت بعدها الرقابة في عام ١٥٨١م بحظرها ويجب تقييم مطبوعات القرن السادس عشر في ضوء التحركات المتعاقلة التي مرت بها المطبعة بعد تأسيسها وبعد فترة من النشاط مما أدى نشر عدد قليل من الكتب حتى توقفت المطبعة.

ثم أعيد تشغيلها في عام ١٥٧٣م، ومع ذلك باستثناء عمل نشر في ذلك العام، يبدو أنه لم تتم طباعة أي كتب أخرى بين عامي ١٥٧٣ و ١٦٣٤م حيث يمكن تفسير هذا التوقف بنقل مرافق كلية سانت بول القديمة إلى موقع جديد، كجزء من إعادة تنظيم كلياتها، علاقة أكيدة على التأثير المتزايد لجمعية يسوع في ولاية الهند، ثم تركيب المطبعة في الكلية الجديدة، المعروفة باسم القديس بولس الأصغر أو القديس روش، في مونتي سانتو (أو ثلة السيدة الوردية) شرقي العاصمة، ويعود تاريخ افتتاح المباني الجديدة إلى عام ١٥٨٠م، وثم تصل المطبعة لاحقا إلى المدرسة الأكليريكية البطريركية في رايتورل راتول (التي تأسست عام ١٦٠٩م، في مارغاو.

الثقافات الإنسانية في دولة الهند

كانت البرتغال واحدة من المراكز الكبرى للإنسانية الأوربية باعتبارها تقليدا طويلا وغنيا للدراسات التي ركزت على الرسائل بقدر ما ركزت الفلسفة أو الهندسة المعمارية، وأحيانا في سياق قومي خاص بالعديد من الدراسات التاريخية التي رافقت تطورا التأليف التاريخي، مثل الإنضباط وبشكل أكثر تحديدا فيما يتعلق بالأسطورة السوداء التي سقطت على شبه الجزيرة الإيبيرية منذ عصر التنوير، والإستجابة لها، حيث كانت الأعمال التي ساهمت في تجديد نهج المعرفة الثقافية والعلمية للفضاء اللوسيتاني (البرتغالي) مبنية على القراءة الفنية لتاريخها الإمبراطوري، لا تزال هامشية للغاية بالنسبة لتجديد الدراسات الإمبراطورية، لذا كان يبدو من الصعب تأثير الثقافة الإنسانية على النخب الإمبراطورية البرتغالية في القرن السادس عشر، بسبب التشتت المكاني للمؤسسات البرتغالية في القرن السادس عشر وتشتت المصادر تظل الحقيقة أنها رعت العهدين العظيمين دوم مانويل (١٤٩٨ - ١٥٢١م) وخاصة

دوم جواو الثالث (١)[1] (١٥٢١ - ١٥٥١م) وانتشار ليتووا نوفا (الثقافة الجديدة) وهو برنامج أيقوني يهدف إلى بناء وفرض الصورة الملكية لدوم مانويل وتنظيم" تطل الإدخالات ذات الطراز الروماني في عهد دوم جواو الثالث بمثابة العديد من المظاهر الرئيسية للثقافة مثل فرانسيسكو دي هولاندا (١٥١٧ - ١٥٨٤م) ومؤرخون مثل دامياو دي جويس (١٥٠٢ - ١٥٧٤م) أو ديوغو دي تيف (١٥١٤ - ١٥٦٩م) وكذلك العلماء والشعراء والخطباء مثل أندريه دي ديزندي (١٥٢٧ - ١٥٩٩م) أو الأطباء مثل أماتو لوسيتانو، يشهدون أيضا على الجو الثقافي الذي تغلغل في نخب المملكة خلال الربع الأول من القرن السادس عشر، ويعود هذا أيضا على كثيرا إلى الروتبط الوثيقة المنسوجة بين هؤلاء دوائر البلاط والإنسانيين الإيطاليين على وجه الخصوص الذين يقيمون في البرتغال مثل كاتالدو باريزيو سيكولو، جيوستو بالدينو، خوان لويس فيفيس ١٤ عاما أو الذين يعيشون في الخارج مثل إيراسموس الذي يعرف برسالته وإهدائه إلى دوم جواو الثالث.

نظر للكون النخب الإمبراطورية مكونة جزءا من الأفراد الذين هاجروا من عاصمة (لشبونة) يمكننا أن نعترف بأن الثقافة الإنسانية تم جلبها حرفيا في أمتعتهم، وتم نشرها من خلال الإتصالات بين علماء البرتغال والعلماء من أجزاء أخرى من دولة الهند، ضمن عدة بلدان من خلال مواقع التواصل، إن الرحلات الفكرية لشخصيات رمزية من الحداثة الأوربية المبكرة، والني اتسمت مساراتها بإقامتها في آسيا، تشهد على الدور الذي لعبه بعض هؤلاء (الرينويين) كناقلين للثقافة الإنسانية، بمعنى آخر، وحتى لو كان ذلك في وضع هامشي مقارنة بوضع روما في عصر النهضة في البرتغال، وما بعدها في إمبراطوريتها الآسيوية. (في جوا على وجه الخصوص) كانت منتشرة في كل مكان في أسس الإنساني لثقافتها التي تخمل في داخلها التراث اليوناني الروماني، الفارق في الإشارات (السياسية والقانونية والعلمية) إلى الإمبراطورية الرومانية التي ستتفوق عليها البرتغال.

وهناك شخصيتان نموذجيتان الشاعر دي كامويش مؤلف الملحمة الشعرية (اللوسيادة) حيث نسج المقارنة مع روما القديمة في العديد من الأبيات حينما جاء إلى العند جندي بسيط، وشخصية نائب الملك في الهند دوم جواو دي كاسترو، رجل حرب وجامع الآثار الآسيوية، جغرافي، وعالم كوزموغرافي، مؤسس التجريبة في هذا التخصص في البرتغال، كما كان دوم

(١) ديجانيرة كوتو، المدرسة العلمية للدراسات العليا، باريس، إليسا أندريتا، أنطونيلا رومانو (كوردينادوراس المنسقين) الآفاق الشرقية للمعرفة الرومانية في عالم القرن السادس عشر، دفاتر التاريخ الحديث. Cuadernos de Historia Moderna. Horizon orientaux des savoirs Romains sur le monde de XVIe siècle. Elisa Andretta، Antonella Romano، (coordenadoras)

جواو دي كاسترو أيضا على اتصال مع دامياو دي جويس، فرانسيسكو دي هولاندا، أندريه دي ريزندي لـذلك يمكننا أن نعترف أنه في الأعوام (١٥٤٠ - ١٥٤٠م) كان استيراد القيم الثقافية للإنسانية الأوربية، والرزق الكلاسيكي (بما في ذلك فكرة الإنتصار على الطواز الروماني حقيقة واقعة بين النخب الحضرية، حيث التقى النبلاء وموظفوا الخدمة المدنية من البرتغال أو المولودين في الهند، لأبوين أوربيين (أحفاد الشمعدنات) والتجار، ومتزوجوا الأعراق المختلطة، الآسيويين ذوي المكانة الدينية والإجتماعية العالية بحيث تم التصديق على المبادرة ويتم إعدام المخالفين.

ولا شك أن بوتقة الإنصهار الإجتماعي هذه ساهمت في نشر القيم الإنسانية التي كانت في حد ذاتها ناقلات للشرعية الإجتماعية، في الوقت الذي شغل بعض الكاسادو مناصب مهمة في الإدارة الحضرية، وقاموا بتجهيز السفن، وأبحروا وأتقنو قنوات التجارة لمسافات طويلة.

***

الخلاصة

ظهرت البرتغال بأدوات للدبلرماسية المستخدمة في الهند، مظاهرة التسامح رغم تاريخها الإستعماري وحضارتها الحديثة التي تفوقت على الحضارة الرومانية، وذلك حينما عمل أحد الشخصيات الأصلية في المجتمع الأمبراطوري البرتغالي مانويل جودينهو دي إيريديا (١٥٥٨ - ١٦٢٣م) الذي عاش تلك العلاقات المعقدة بين عاصمتين رومانيتين في النصف الثاني من القرن السادس عشر حاضرة في خرائط العالم للكتابات البرتغاليين التاريخية العادية للإمبراطورية الروحية الكاثوليكية ما بعد ترايدنتن التي تأسست على أنقاض الإمبراطورية الرومانية القديمة والعظيمة، والأقل شهرة هي العاصمة الثانية للإمبراطورية البرتغالية في الشرق وتنتشر أخيرا على نطاق عالمي، أنه يسلط الضوء على نظام المراجع المزدوجة الذي يغزي ويهدف إلى تعزيز الرصيد العالمي لإيرديا، ذلك الرجل من روما الشرقية والأرض الإنسانية لثقافة مشتركة مع معاصرة عبر المسافات ذلك الأفق المتجدد الذي يحمله التاج الإيبيري من البناء الإمبراطوري الذي لا يساوي بل يفوق بناء روما القديمة كان لتلك القراءة المقترحة لمنتجات إيريديا العديدة، ولاسيما أطلسه أو كتابه (خلاصة الأشجار والنباتات في الهند داخل نهر الغانج).

***

المراجع المستخدمة

١. بيريس توميه الخلاصة الشرقية (سوما أورينتال) حرره روي مانويل لوريرو، مركز ماكاو العلمي والثقافي، وزارة العلوم والتكنولوجيا، والمعهد العالي، مؤسسة خورخي ألفارس، مؤسسة ماكاو لشبونة ١٩٧٨م.

٢. فارينيا أنطونيو، (البرتغاليون في الخليج الفارسي (١٥٠٧ – ١٥٣٨م) برسالة الدكتوراه مقدمة إلى جامعة لشبونة للحصول على درجة الدكتوراه غير منشورة ١٩٩١م، ترجمة محمد صالح حامد سيد أحمد.

٣. جي بي أوليفرا مارتيز، البرتغال في البحار، مكتبة برتراند، لشبونة ١٨٨٩م.

٤. كوتو ديجانيرة، هجرات اللغات والأفكار في آسيا، (جان لويس باليه جرامونت، بير سيلفان ملبوزات، ومشير زينك، محررون أكاديمية النقوش ورسائل الجميلة، باريس ٢٠١٥م مترجم بواسطة د. محمد صالح حامد سيد أحمد.

٥. كوتو ديجانيرة، المعاجم والمفردات والقواميس في دولة الهند في القرون ١٦ و ١٧.

٦. سانجاي سوبرامانيام، الإمبراطورية البرتغالية في آسيا (١٥٠٠ – ١٧٠٠م)، التاريخ السياسي والإقتصادي، ١٩٩٢م، Longman، London، Newyork.

٧. كتاب لويس دي كامويش محفظ في المكتبة الوطنية لشبونة، مؤرخ عام ١٥٧٢م، وليات مطبوع.

٨. اللوسيادة، مجموعة قصائد برتغالية من عصر النهضة لمؤلفها Historia universal de la literatura. Editorial Ramon Sapena SA. Provença Barcelone (Biblioteca Hispano).

٩. كوتو ديجانيرة، المدرسة العلمية للدراسات العليا، باريس، إليسا أندريتا، أنطونيلا رومانو (كوردينادوراس المنسقين) الآفاق الشرقية للمعرفة الرومانية في عالم القرن السادس عشر، دفاتر التاريخ الحديث Cuadernos de Historia Moderna. Horizon orientaux des savoirs Romains sur le monde de XVIe siècle. Elisa Andretta، Antonella Romano، (coordenadoras)

❊ ❊ ❊

شيراز في المصادر العربية الإسلامية من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري

Shiraz in Arabic and Islamic Sources

from the 1st to the 10th Century AH: A Critical Study

د.يوسف المساتي

طالب باحث في سلك الدكتوراه،

تخصص تاريخ وعلم الآثار الإسلامي

ملخص الدراسة

يتتبع هذا المقال حضور شيراز في المصادر العربية الإسلامي خلال العصر الوسيط، للوقوف على ما تقدمه من معطيات بشرية وطبيعية وجغرافية، إضافة إلى التوطينات والتحديدات الجغرافية للشبكية الجغرافية المرتبطة بشيراز، عبر توظيف المنهج التاريخي والوصفي والمقارن، وقد خلصت الدراسة إلى حضور شيراز شهد تحولات عديدة، حيث كان ظهورها الأول مرتبطا بالمستوى اللغوي، وهو ما ظل حاضرا قرونا عادة، في بعض المفردات والكلمات التي اعتقد أن أصلها غير عربي، أو المرتبطة بمجال جغرافي آخر كطعام المجوس، وغيرها من التوظيفات اللغوية.

أما على المستوى التاريخي، فقد ظهر الحضور المتذبذب لشيراز في المصادر التاريخية، سواء ما تعلق بأدوارها أو حضورها، وعلى المستوى الثقافي، وبالانتقال للمستوى الجغرافي، تسجل الدراسة غلبة التكرار والاجترار على شيراز، إذ لا تتعدى أغلب الإشارات ذكر موقعها وسط فارس وأهميتها وغيرها من التحديدات المجترة، وبتجميع الإشارات الجغرافية الواردة في المصادر يلاحظ أن ما تقدمه يتناقض أو يختلف جغرافيا عن شيراز الحالية.

الكلمات المفاتيح

الجغرافية – المصادر – شيراز – فارس

Abstract

This article traces the presence of Shiraz in Arab-Islamic sources during the Middle Ages، to identify what it offers in terms of human، natural and geographical data، in addition to the settlements and geographical determinations of the geographical network associated with Shiraz، through the use of the historical، descriptive and comparative method. The study concluded that the presence of Shiraz witnessed many transformations، as its first appearance was

related to the linguistic level، which remained present for centuries، usually in some vocabulary and words that are believed to be of non-Arabic origin، or related to another geographical area such as the food of the Magi، and other linguistic uses.

As for the historical level، the fluctuating presence of Shiraz appeared in historical sources، whether related to its roles or presence، and at the cultural level، and moving to the geographical level، the study records the predominance of repetition and rumination on Shiraz، as most of the references do not exceed mentioning its location in the middle of Fars and its importance and other repeated determinations، and by collecting the geographical references contained in the sources، it is noted that what it offers contradicts or differs geographically from the current Shiraz.

Keywords

Geography - Sources - Shiraz – Fars

مقدمة

تروم هذه الدراسة وضع شيراز على محط الرؤية والنقد، لترصد حضورها في المصادر الجغرافية من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري، وقد تأطرت هذه الدراسة بسؤال اشكالي رئيسي، هو: هل شيراز التاريخية هي شيراز الحالية؟ وإلى أي حد ينسجم الموقعان؟

وقد تفرع عن هذا عدة أسئلة فرعية: من قبيل: ما هي مستويات حضور شيراز كموقع جغرافي مقارنة مع حضورها التاريخي؟ ما هي شبكة التحديدات الجغرافية التي قدمتها المصادر الجغرافية؟ ما هي الخصائص البشرية والثقافية والطبيعية والجغرافية التي قدمتها هذه المصادر؟

من أجل الإجابة على هذه الأسئلة تمت الاستعانة بالمنهج التاريخي والوصفي والمقارن، وذلك لرصد التطور التاريخي لشيراز في المصادر الجغرافية، ومن ثم المقارنة بين الفترات الزمنية المتعاقبة، وبين الخصائص الجغرافية، وبين شبكية التحديدات.

أولا: شيراز في نصوص القرن الثاني الهجري

ترجع الإشارة الأولى لشيراز في المصادر المطلع عليها، إلى القرن الثاني الهجري، ولعل المثير ارتباطها في هذه الفترة بالمستوى اللغوي، حيث ورد في الجامع الكبير ضمن باب "الحنث في اليمين ما يقع فيه على جميع ما حلف وما يقع على بعضه في النخلة والشاة" ان "ولو حلف ألا يأكل من هذه الرطبة أو من هذا

العنب أو من هذا اللبن، فأكل من زبيب العنب أو من عصيره أو من الرطب أو دبسه أو شيراز اللبن أو سمنه لم يحنث، ولو حلف ألا يأكل من هذه الشاة شيئا فاليمين على أكل لحمها"[1].

وقد وردت بنفس المعنى في كتاب "الأصل" لنفس المؤلف، بيد أنها لم ترد في معاجم تلك الفترة، كمعجم العين أو غيره، لقد اقتصر الورود على كتاب فقهي، بينما ارتبط معناها باللغة العربية، وقد يجوز طرح السؤال هنا، كيف لكلمة يعتقد أنها تنتمي إلى لغة أخرى، أن ترتبط باللغة، بل وبمفردة فقهية؟

ثانيا: شيراز في نصوص القرن الثالث الهجري

انطلاقا من القرن الثالث الهجري، ستبدأ مستويات حضور شيراز في المصادر العربية في التنوع والتعدد، حيث وردت في نصوص مرتبطة باللغة، وفي أخرى مرتبطة بالتاريخ، بينما وردت في نصوص أخرى مرتبطة بالجغرافيا، وفي مستويات أخرى استدمجت أكثر من مستوى، حيث تم الجمع بين المستوى التاريخي والجغرافي، ويلاحظ على العموم أنه رغم أهمية شيراز إلا أن مصادر القرن الثالث الهجري، لم تفرد حيزا كبيرا لخصائصها البشرية والأثرية والمعمارية، بل هيمن الجانب الجغرافي. ويمكن أن نجمل مستويات الحضور في التالي:

١ - المستوى اللغوي:

وردت شيراز على المستوى اللغوي، في عدة نصوص، إذ جاء في مصنف ابن أبي شيبة، "عن الحسن قال: كان يكره أن يأكل مما طبخ المجوس في قدورهم، ولم يكن يرى بأسا أن يؤكل من طعامهم مما سوى ذلك سمن أو خبز أو كامخ أو شيراز أو لبن"[2].

لعل ما يثير الانتباه في هذا النص، أن شيراز وإن وردت مرتبطة بالمستوى اللغوي -اللبن الرائب- إلا أنها ارتبطت بالمجوس، وهو ما يحيل على المجال الثقافي والجغرافي "الفارسي" الذي يفترض أن شيراز تنتمي إليه، فهل يتعلق الأمر بنوع من أشكال الثقافة المحلية (الطبخ) تم تعريبه؟ أم أن الأمر كان سائدا وعاما؟

على غرار القرن الثاني الهجري فإن مصادر القرن الثالث الهجري لا تسعف في تقديم جواب على هذه الأسئلة، إذ أنها لا تتطرق إلى شيراز وتفسيرها اللغوي.

٢ - المستوى التاريخي

وردت شيراز في عدد من المصادر التاريخية، حيث جاءت مقترنة بتراجم عديد من الفقهاء، كعبد الله بن صالح العجلي[3]، ويحيى بن الحارث الطائي[1]،

---

(١) - أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، **الجامع الكبير**، تحقيق أبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى، ١٩٣٧، ص ٧٢.

(٢) - أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، **المصنف**، تحقيق سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، تقديم ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ج ١٨، ص ٢٤٣.

(٣) - أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى، **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر** =

وتشير لأهميتها حيث جعلها صاحب عيون الأخبار من إنشاء الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي جعلها "معسكرا ومنزلا لولاة فارس"[٢]، بينما يشير البلاذري، إلى أن شيراز كانت قائمة قبل أن يصلها عثمان بن العاص، "وهي من أرض أردشير خره على أن يكونوا ذمة يؤدون الخراج إلا من أحب منهم الجلاء ولا يقتلوا ولا يستعبدوا"[٣].

ويفهم من هذا المعطى أن المنطقة برغم الفتح الإسلامي لم تدخل للإسلام، وظلت على دينها، ولعل هذا ما يفسر الحديث السابق الوارد في مصنف ابن ابي شيبة من كره أكل طعام المجوس، بيد أن معطيات أخرى يستشف منها أن شيراز كانت تعرف انعقاد مجالس للحديث[٤]، ويشير البلاذري في نص آخر إلى أن شيراز كانت مستقر الجيش الذي أرسله الحجاج بن يوسف الثقفي من أجل فتح الري، قبل أن توافيهم باقي الجيوش[٥]

٣- المستوى الجغرافي

من بين أقدم الإشارات لشيراز على المستوى الجغرافي والمعماري، ما سجله الجاحظ في كتابه الحيوان، عند حديثه عن "أثر المدن في روائح الأشياء" حيث أورد أن "شيراز من بين قرى فارس، لها فغمة طيبة"[٦]؛ كما سيشير لها جغرافيو القرن الثالث الهجري في مواضع عدة، إلا أن كل ما تقدمه المصادر، أنها من مدن فارس العظيمة، وأنها من كورة أردشير خره، وعقبة الطين، كما تقدم جردا لبعض المدن المنتمية إليها، ويشير اليعقوبي إلى أن المدينة منزل الولاة (بمثابة العاصمة)، وأنها عرفت ببساتينها، حتى أن لكل واحد من سكانها بستان يتضمن جميع الرياحين والبقول، وشرب أهلها من عيون تجري في أنهار تأتي من جبال يسقط عليها الثلج، وهو ما قد يؤشر على قربها من إحدى المناطق الباردة والمرتفعة التي تعرف تساقط الثلوج، كما يبدو أن شيراز عرفت باتساعها، "حتى أنه ليس لها منزل إلا وفيه لصاحبه بستان"[٧].

=

مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة – السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، ج.١، ص ١٨٦.

(١) -نفسه، ج.٢، ص ٣٤٩.

(٢) - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص ٣٣٢.

(٣) - أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨، ص٣٧٦.

(٤) - أبو بكر أحمد بن الحسين الخسروجردي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، **أحكام القرآن للشافعي**، تحقيق وتعليق أبو عاصم الشوامي، دار الذخائر، ٢٠١٨، ج.١، ص ٤٢.

(٥) -البلاذري، مرجع سابق، ص ٤٢٠

(٦) - عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، **الحيوان**، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤، ج.٧، ص ١٣٦.

(٧)- أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، **البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ٢٠٤.

ويؤكد على أهمية الموقع، أن مصادر القرن الثالث الهجري، قدمت توطينات مهمة لشيراز وعلاقتها بباقي المناطق والمسافة منها وإليها، بحيث يمكن من خلالها اعتبار شيراز من المسارات الأساسية في المنطقة، وأنها توسطت البلاد.

٤ - مستويات مشتركة

من بين المستويات المشتركة أو المتعددة لحضور شيراز، ورودها في بيت شعري مرتبطة بالموضع الجغرافي، في سياق حديث تاريخي، حيث ورد في كتاب نسب قريش، بيت شعري ورد على لسان عكرمة بن عبد الرحمن يقول:

"تبشر يابن مخزوم بخود ...

أبوها من بنى تيم الرباب

أتتك بمال شيراز وفسا ...

وسابور الذي دون العقاب

فتلك مآثر الأموال لاما ...

يجمع يوم سعدى والرباب"[١]

يؤكد هذا البيت أهمية شيراز وما عرفت به خلال تلك المرحلة، كما يشير ابن أبي الدنيا في كتابه القبور، إلى بيت شعري قرأه على أحد القبور في شيراز[٢]، كما جاءت في بيت شعري على لسان ابن شبل بن معبد البجلي، بعدما تناهى إليه وفاة أهله بالطاعون حيث قال:

"سما لك في شيراز هم فلم تنم ...

غريبا كما بعض الرجال غريب"[٣].

ثالثا: شيراز في نصوص القرن الرابع الهجري

١ - المستوى التاريخي

حضرت شيراز في عدد من المصادر التاريخية، فقد أعاد قدامة بن جعفر في كتابه "الخراج وصناعة الكتابة" رواية البلاذري حول فتح شيراز، حيث اجتمع "أبو موسى، وعثمان بن أبي العاص في آخر خلافة عمر ففتحا أرجان صلحا على الجزية، والخراج، وفتحا شيراز من أردشير خره على أن يكونوا ذمة يؤدون الخراج، الا من أحب منهم الجلاء ولا يقتلوا ولا يستعبدوا"[٤]، إلا أن المقدسي البشاري يشير إلى أن المدينة قديمة التأسيس "كانت مدينة بناها شيراز بن

(١) - أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، **نسب قريش**، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت، صص ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) - أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، **القبور**، =

= تحقيق طارق محمد سكلوع العمود، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص ١٧٤.

(٣) - محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، **التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا]**، تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع التعازي، ص٢١٩.

(٤)- قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، **الخراج وصناعة الكتابة**، دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص٣٨٨.

فارس الا ان المسلمين مصروها لما فتحوا الإقليم واستطابها الملوك فنزلوها"[١]

ووردت عند الطبري في عدة مواضع ونصوص، والملاحظ أنها وردت مقترنة بفترة ما قبل الإسلام، حيث أوردها في سياق أخبار سوخرا الشيرازي الذي حارب الهياطلة الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد، وأشاعوا فاحشة قوم لوط في خراسان، فبل أن يطردهم سوخرا[٢]. كما وردت عند نفس المؤلف في أحداث سنة ٢٨٦ هجرية، بين عمرو بن الليث والحسن العلوي، ثم بين عمرو بين الليث ومحمد بن الليث، فبعدما ظفر عمرو بمحمد صار إلى شيراز وأقام بها[٣].

٢- المستوى الجغرافي

أما على المستوى الطبيعي، فقد سجلت مصادر القرن الرابع الهجري أن شيراز تبعد عن خط الاستواء ب٣٠ درجة[٤] وسط فارس، وقربها بحيرتان الأولى "طولها ثمانية فراسخ في عرض سبعة، وما حولها عامر، وهي قليلة الخيرات"[٥]، والثانية تعرف ببحيرة أرزن، وسمك شيراز منها، و"طولها عشرة فراسخ في عرض ثمانية"[٦].

أما على مستوى المزروعات فتعرف شيراز وجود النخيل والجوز (الجروم، ومناخها معتدل (استوائي)، ومن بين النباتات أزهار تنتمي لفصيلة النرجس ورقه كورق السوسن وفى داخله عيون صفر كعيون النرجس، وخيار له مثل شوك القنفذ، وينبت بها زعفران وأرزن وبفساتين حسن وسرو عجيب وسفرجل نادر، وتحيط بها بحيرتان، بحيرة باسفهري طولها ثمانية فراسخ في عرض سبعة، وما حولها عامر، وهي قليلة الخيرات؛ وبحيرة أخرى قريبة تعرف ببحيرة أرزن، وسمك شيراز يأتي منها، وطولها عشرة فراسخ في عرض ثمانية، ومزارعهم تسقى بالدلاء، والأعناب والتين فبالغلا، وخبزا حسنا فلا ترى، وهم من قصر الرواشن في بلا، وسير بهيمتين في سوق واحد فلا، إلا انه معتدل الهوا، طيب في الصيف وفي الشتا، وماء خفيف إذا شربت مما جرى، ومياه الآبار حلوة قريبة المستقى، ويشير المهلبي إلى أن بها "منازل واسعة سرية كثيرة المياه،

---

(١)- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩١، ص٤٢٣

(٢)- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك، ويليه بالجزء ١١ صلة تاريخ الطبري، ويليه: "تكملة تاريخ الطبري" ويليه: "المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين لمحمد بن جرير الطبري"**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٧، ج.٢، ص ٨٢.

(٣)- الطبري، مرجع سابق، ج.٩، ص٦٠١.

(٤)- أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، **التنبيه والإشراف**، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي – القاهرة، ج.١، ص٣٩.

(٥)- مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، التحقيق والترجمة عن الفارسية السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص٣٠.

(٦)- نفسه، ص ٣١.

وشربهم من عيون تتخرق البلد وتجري في دورهم"[1]

ومن مزروعاتها الأساسية، الحنطة والشعير السيح مائة والجرجر السيح والرطاب والمقاثى والقطن، والكرم، [2] والاجاص المعروف ب"العمرى"[3]، وعلى المستوى المناخي، فإن شيراز تعتبر أعدل منطقة في بلاد فارس، وتتوسط المنطقة الحارة والمنطقة الباردة وإن كانت لا تخلو من ثلوج، كما يشير لذلك المقدسي البشاري في كتابه أحسن التقاسيم: "اعلم ان بفارس صرودا لا يثمر فيها الأشجار من شدة البرد ولا ينعش فيها الزرع مثل الأرد والرون والرهنان واطراف إصطخر وجروم لا يمكن النوم فيها بالنهار من شدة الحر مثل سيراف وأرجان وما بينهما ويقع الاعتدال بين الحدين وما فيها من البلد مثل شيراز ومدنها واطراف سابور والثلج موجود في جميعه"[4]، ويضيف الخوارزمي أن "من أقام بشيراز يطيب عيشه عند جماع النساء واسترخاء المفاصل"[5]، وهو ما يؤشر على اعتدال جوها وطيبه، ويتفق مع ما سبق أن أشار إليه الجاحظ من أن هوائها به فغمة.

وأورد الطبري في تاريخه عند الحديث عن يعقوب بن الليث أحد أشهر القادة محاربي الخوارج، وأسره لعلي بن الحسن قريش، عندما خرج هذا الأخير رفقة "جيشه ورجالة الفل من عند طوق وغيرهم، وأعطاهم السلاح، ثم برز من شيراز، فصار إلى كر خارج شيراز بين آخر طرفه عرضا مما يلي أرض شيراز، وبين عرض جبل بها من الفضاء قدر ممر رجل أو دابة، لا يمكن من ضيقه أن يمر فيه أكثر من رجل واحد فأقام في ذلك الموضع، وضرب عسكره على شط ذلك الكز مما يلي شيراز، وأخرج معه المتسوقة والتجار من مدينة شيراز إلى معسكره"[6].

تحمل هذه الإشارات معطيات عدة، فهي تشير أولا إلى حدث تاريخي أنهى سلطة الحسن العلوي، لصالح المعتز العباسي، مع ما قد يعنيه الأمر من تحول مذهبي، من التشيع إلى التسنن، ومن جهة أخرى، يشير على المستوى الجغرافي، إلى قرب شيراز من منطقة جبلية ضيقة، وأنها تقع قرب فج ضيق، ولعل هذا ينطبق مع ما سبقت الإشارة إليه من أن مصدر مياهها من جبال تسقط عليها الثلوج. كما تؤكد أن شيراز كانت بمثابة عاصمة للمنطقة.

وتؤكد أبيات شعرية أوردها أبو بكر الصولي، في

---

(١)- الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي، **الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك**، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٢٧.

(٢) - أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٥٧.

(٣) - المقدسي البشاري، مرجع سابق، ص٧

(٤)- نفسه، ص٤٣٩

(٥)- أبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس، **مفيد العلوم ومبيد الهموم**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٥٤٩.

(٦) الطبري، مرجع سابق، ج.٩، ص ٣٨٥.

كتابه الأوراق هذا المعطى، وأن تضاريسها وعرة، حيث ورد فيها:

"على أن فيها متعة وتعلة ...

يراح لها ذو لوعة وخليل

تبدلت من بغداد شيراز منزلا ...

بلاد وعور ما بهن سهول"[1]

وعلى المستوى المعماري والأثري، أشارت المصادر إلى أن شيراز بناها محمد بن القاسم بن ابي عقيل ابن عم الحجاج ابن يوسف، وتعتبر قصبة فارس (العاصمة)، وبها دار الإمارة، وهي مدينة محدثة في الإسلام، كانت معسكرا للمسلمين أثناء توجههم لفتح اصطخر، ولها قلعة أو حصن، وبها بيتا نار للمجوس، وباب كانت تعرف بالبركان، وهي مزدحمة بالسكان، وتبلغ مساحتها فرسخ غير مسورة، وقد وصفه المهلبي بأنه بليد ضيق، ولا شارع فسيح، من الضيق في الأسواق يزدحمون، وبه دور الزنا ظاهره، ورسوم المجوس مستعمله، ومنع الخارج منه الا بجواز، وحبس الداخل والمجتاز. كما أن شيراز كانت بها دار السكة الوحيدة في بلاد فارس كلها[2].

٣- المستوى الثقافي

على غرار القرن الثالث الهجري، ومقابل الحضور التاريخي لشيراز، نلمس حضورا جغرافيا في أغلب المصادر الجغرافية المعروفة آنذاك، بيد أن المصادر الجغرافية العربية الإسلامية ستقدم معطيات أكثر حول الجوانب البشرية والمعمارية والطبيعية لشيراز، حيث يقدم الطبري في هذا السياق إشارة مهمة عند تطرقه لأحداث، سنة ٣٢٣ هجرية، في المواجهة بين عماد الدين (معز الدولة) بن بويه وابن ياقوت، والتي انتهت بانتصار بن بويه "فمضى وراءه، واقام على فرسخ من شيراز، ودخل معز الدولة في ثمانين من الديلم فقتل من السودان ألفا، ونادى في اصحاب ياقوت فخرجوا". واتى ياقوت الاهواز"[3]؛ وتقدم هذه الرواية إشارة مهمة عن وجود العناصر السودانية أو السوداء في الديلم وشيراز، وهو ما يطرح السؤال حول سبب وجود هذه العناصر فيها.

والملاحظ أن بعض المصادر تحاملت على شيراز، خاصة المهلبي، ولا تعرف أسباب هذا التحامل، الذي قد يرجع لأسباب أيديولوجية، حيث ذكروا أن سكان المنطقة من بين أبخل مناطق فارس، ولسانهم الفهلوية، والغالب على خلقتهم نحافة الخلق وخفة الشعر وسمرة اللون، كما تسود فيهم بعض الامراض، ف"المفال بشيراز كثير"[4]، ويشير المقدسي البشاري إلى لباس سكان شيراز بأن ثيابهم "السود ويكشفون الصوف ويكثرون التطلس

---

(١) - أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، **الأوراق قسم أخبار الشعراء**، شركة أمل، القاهرة، ٢٠٠٥، ج.١، ص ١٩٠.

(٢) -الاصطخري، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٣)- الطبري، مرجع سابق، ج١١، ص ٢٩٢.

(٤)- المقدسي البشاري، مرجع سابق، ص٤٣٩.

ويسلطون العمائم وليس لأهل الطيالسة بشيراز مقدار انما هو لأصحاب الدراريع"[1]

ووصف المهلبي قوم شيراز، بأنهم قوم حديث لسان وحش ورسم سخيف لا رئيس معتمد، ولا عالم اديب عدولهم لوطة، وتجارهم فسقه، وسلاطينهم ظلمه، وأكثرهم يقولون ما لا يفعلون، تراهم يدخلون الحمامات بلا ميازر وتنطح رءوسهم الرواشن ولا ترى على مجوسي غيارا، ولا لصاحب طيلسان مقدارا، ولقد رأيت أهل الطيالس سكارى، ويلبسه المكدون والنصارى، وفي المقابر مجتمع الفساق، وفي أعياد الكفرة تزين الأسواق، وضربت على الحوانيت الضرائب الثقال، أهل يسار وتجارة وتعط، ويقدمون فيها الصبيان ويعيدون مع المجوس في النيروز والمهرجان؛ ومن شيراز الأكسية البركانات لا موضع لها غيره والمنيرات التي لا شبه لها في الكد مع رقة وحسن والإبراد الجياد ويعمل به خز وديباج وقصب وحلل.

سجلت المصادر خلال هذه الفترة الحضور القوي للتصوف، فقد جاء في نشوار المحاضرة، بأن "بشيراز رجلا يعرف بابن خفيف البغدادي، شيخ الصوفية هناك، يجتمعون إليه، فيتكلم على الخطرات والوساوس، ويحضر حلقته ألوف من الناس، وأنه فاره، فهم، حاذق، وأنه قد استغوى الضعفى من الناس، إلى هذا المذهب"[2]

رابعا: القرن الخامس الهجري

على غرار باقي القرون فقد حضرت شيراز على عدة مستويات يمكن إجمالها في:

١ - المستوى التاريخي

على غرار باقي القرون فقد وردت شيراز مقترنة بأسماء عدد من المحدثين والفقهاء كالعلامة أبو بكر الفارسي المعروف بالعلاف[3]، والمتصوفة كبندار بن الحسين[4]، ووردت في مصادر تاريخية أخرى، ككتاب "تجارب الأمم وتعاقب الهمم" لابن مسكويه، الذي أفرد لها حيزا مهما للأحداث التاريخية التي عرفتها المنطقة، خاصة خلال فترة عماد الدولة ابن بويه.

٢ - المستوى الجغرافي

وردت في إشارة واحدة عند البكري، حددها بأنها من كور فارس، وتبعد عن جور ب ٢٠ فرسخا.

---

(١)- نفسه، ص٤٤٠.

(٢)- المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر-بيروت، د.ط، ١٩٧٢، ج.٣، ص ٢٢٨.

(٣)- ابي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **تاريخ نيسابور**، جمع وتحقيق ودراسة أبي معاوية مازن بن عبد الرحمن البحصلي البيروتي، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٥٠٦.

(٤)- محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص٣٤٩.

٣- المستويات المتعددة

أشار إليها ابن مسكويه مرارا في كتابه "تجارب الأمم وتعاقب الهمم"، من ذلك مثلا، حضورها في الخلاف بين ياقوت وابن بويه سنة ٣٢٢ هجرية، عندما وجه ابن بويه "بجماعة من الديلم وأخلاط من الجند إلى شيراز للمقام بها وضبطها فبادر إليهم العامة بشيراز مع جماعة من الرجالة السودان ومماليك للتناء"(١)، ويؤكد هذا النص الحضور السوداني، او حضور سود البشرة في شيراز، وهو ما ينضاف إلى نصوص في قرون سابقة حول هذا المعطى.

ويضيف نفس المؤرخ في نص آخر حول أحداث سنة ٣٧٣، "وفي هذه السنة شغب الأتراك ببغداد وبرزوا متوجهين إلى شيراز بعد أن كانت طائفة منهم قد سارت قبلهم ولحقت بفارس"(٢)، وهو ما يؤشر على الوجود التركي في المنطقة أيضا.

خامسا: القرن السادس الهجري

١ - المستوى التاريخي

على غرار المصادر السابقة، أشارت مصادر القرن السادس الهجري، إلى ترجمات عديدة لأعلام وجدوا في شيراز كابن أبي مريم الشيرازي(٣)، وأبو غالب الشيرازي(٤)، لكن الملاحظ على العموم أن أغلب ما ورد على المستوى التاريخي لم يتجاوز اجترار لما ورد في مصادر سابقة، وخاصة لفترة ابن بويه، فيما يلاحظ ان اخبار القرن الخامس والسادس الهجري تكاد تغيب.

٢ - المستوى الجغرافي

حيث اكتفت المصادر بالإشارة إلى أن شيراز من بلاد فارس وأنها أحد كورها، وهي قاعدتها ودار ملكها، وينزلها الولاة والعمال وبها الديوان والمجبى، بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج، وتعني شيراز جوف الأسد، لأن المير يجلب إليها من سائر البلاد ولا يخرج منها ميرة البتة، وهي كانت معسكر المسلمين أثناء توجههم لغزو اصطخر، ويضيف الادريسي أنها "مدينة جليلة المقدار حسنة النواحي والأقطار طولها نحو من ثلاثة أميال في مثلها وهي متصلة البناء لا سور لها شبيهة بمصر وبها أسواق وعمارة وهي قرارة الجيوش وأولي الحرب والدواوين والجبايات وشرب أهلها من الآبار"(٥).

---

(١) - أبو علي مسكويه الرازي، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم ويليه: ذيل كتاب تجارب الأمم، للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقّب ظهير الدين الروذراوري ويليه: الملحق بذيل الروذراوري"**، تحقيق الدكتور أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠٢، الطبعة الأولى، ج.٥، ص ٣٨٩.

(٢)- نفسه، ج.٧، ص ١٢١.

(٣)- أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، **لباب التفاسير**، تحقيق ناصر بن سليمان العمر، ص٢٣ بترقيم الشاملة آليا.

(٤) - عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، **التحبير في المعجم الكبير**، تحقيق منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٥، ج.٢، ص ٢٠٢.

(٥)- محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، =

٣- المستوى الثقافي

على غرار القرن الخامس الهجري، فإن شيراز لم تحضر كثيرا في المصادر العربية، كان هذا كل ما قدمته المصادر الجغرافية فيما يتعلق بالخصائص المميزة لشيراز، بينما حددت عددا كبيرا من التوطينات والتحديدات المرتبطة بشيراز:

سادسا: القرن السابع الهجري

١- المستوى الجغرافي

وردت شيراز في بعض الإشارات المهمة خاصة ما تعلق بالطول والعرض، فقد جاء في المصادر أن شيراز بلد عظيم، وهو قصبة بلاد فارس في الإقليم الثالث، طولها ثمان وسبعون درجة ونصف، وعرضها تسع وعشرون درجة ونصف، وجاء في مصادر أخرى أن طولها ثمان وسبعون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة.

سميت بشيراز بن طهمورث، وهي مما استجد عمارتها واختطاطها في الإسلام، على يد محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج، وشبهت بجوف الأسد لأنه لا يحمل منها شيء إلى جهة من الجهات ويحمل إليها ولذلك سميت شيراز، وبها جماعة من التابعين مدفونون، ولم يكن لها سور وقد بنى سورها وأحكمها الملك ابن كاليجار سلطان الدولة بن بويه في سنة ٤٣٦، وفرغ منه في سنة ٤٤٠، فكان طوله اثني عشر ألف ذراع وعرض حائطه ثمانية أذرع، وجعل لها أحد عشر بابا،

ذمها عدد من الجغرافيين في مقدمتهم البشاري (كما تقدم سابقا) بضيق الدروب وتداني الرواشين من الأرض وقذارة البقعة وضيق الرقعة وإفشاء الفساد وقلة احترام أهل العلم والأدب، وزعموا أن رسوم المجوس بها ظاهرة ودولة الجور على الرعايا بها قاهرة، الضرائب بها كثيرة ودور الفسق والفساد بها شهيرة، وخروءهم في الطرقات منبوذة، والرمي بالمنجنيق بها غير منكور، وكثرة قذر لا يقدر ذو الدين أن يتحاشى عنه وروائحه عامة تشق الدماغ، ولا أدري ما عذرهم في ترك حفر الحشوش وإعفاء أزقتهم وسطوحهم من تلك الأقذار.

ورغم هذه الانتقادات يعترف الجغرافيون أنها عذبة الماء صحيحة الهواء كثيرة الخيرات، تجري في وسطها القنوات وقد شيبت بالأقذار، وأصلح مياههم القناة التي تجيء من جويم، وآبارهم قريبة القعر، والجبال منها قريبة، هي على طريق البلاد الحارة، مدينة صحيحة الهواء عذبة الماء كثيرة الخيرات، وافرة الغلات، زعموا أن من أقام بشيراز سنة يطيب عيشه من غير سبب يعرفه، من عجائبها شجرة تفاح، نصف تفاحها في غاية الحلاوة ونصفها حامض في غاية الحموضة. وبها القشمش منها يحمل إلى سائر البلاد، وبها أنواع الادهان الريحانية: كدهن الورد والبنفسج والنيلوفر والياسمين، وأنواع الأشربة الريحانية، كان في

=

عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ج.١، ص٤٠٥- ٤٠٦.

قديم الزمان يتخذ بها الأكاسرة. ولأهلها يد باسطة في صنعة ثياب الحرير والوقايات الرقاع، وكذلك في عمل السكاكين والنصول والأقفال الجيدة تحمل منها إلى سائر البلاد، في مقابل هذه التحديدات الضئيلة، تركت هذه المعاجم تحديدات جغرافية كثيرة.

٢- المستوى الثقافي

حضرت شيراز على المستوى اللغوي، حيث ارتبطت بالعملة والطعام، إذ ورد في "البديع في علم العربية، أن "التصددة؛ لأنه من صد يصد، بالكسر، ومنه قوله تعالى: " إذا قومك منه يصدون"، أي: يصيحون ويضجون. وأبدلت من الراء، نحو: شيراز وقيراط، والأصل شراز وقراط"؛ لقولهم في الجمع: شراريز وقراريط"[١]، وذكر المطرزي أن "«(ش ر ز): (الشواريز) جمع شيراز وهو اللبن الرائب إذا استخرج منه ماؤه (ومصحف) مشرز أجزاؤه مشدود بعضها إلى بعض من الشيرازة وليست بعربية"[٢]، وأورد صاحب اللباب أن "الياء في شيراز فيها اختلاف فقال قوم هي زائدة عن بدل وأصل"[٣]، ويضيف في موقع آخر "وليس لفظ شيراز مصرحا بها في كتب اللغة ولكن يمكن أن يكون لها أصل وذلك أن الشرز والشراسة غلظ الخلق والشيراز لبن فيه غلظ"[٤]

سابعا: القرن الثامن الهجري

لا تختلف مصادر القرن الثامن الهجري عن مصادر القرن السابع الهجري، حيث أنها لم تشر كثيرا إلى شيراز، فهي بلد عظيم مشهور مذكور، وقصبة بلاد فارس، فى وسط بلاده، وقد ذمها بعضهم بضيقة الدروب، ونبذ العذرة فى الطرقات.

وأشار إليها ابن بطوطة في رحلتها فوصفها بأنها مدينة أصلية البناء، فسيحة الأرجاء، شهيرة الذكر، منيفة القدر، لها البساتين المونقة، والأنهار المتدفقة، والأسواق البديعة، والشوارع الرفيعة، وهي كثيرة العمارة متقنة المباني، عجيبة الترتيب، وأهل كل صناعة في سوقها لا يخالطهم غيرهم، وأهلها حسان الصور نظاف الملابس، ووصف جغرافيتها بأنها في بسيط من الأرض تحف بها البساتين من جميع الجهات وتشقها خمسة أنهار: أحدها النهر المعروف بركن آباد وهو عذب الماء شديد البرودة في الصيف سخن في الشتاء فينبعث من عين في سفح جبل هنالك يسمى القليعة.

---

(١)- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، **البديع في علم العربية**، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ج.٢، ص ٥١٦.

(٢)- أبو الفتح ناصر الدين المطرزي، **المغرب في ترتيب المعرب**، تحقيق محمود فاخوري - عبد الحميد مختار، مكتبة أسامه بن زيد، حلب – سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٧٩، ص ٢٤٨.

(٣)- أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق عبد الإله النبهان، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ج.٢، ص ٣٢٣.

(٤)- نفسه، ج.٢، ص ٣٢٤.

وعلى عكس ما أوردت المصادر سابقا من شيوع الفساد والزنا في المدينة يورد ابن بطوطة بأن أهل شيراز أهل صلاح ودين وعفاف وخصوصا نساءها، وهن يلبسن الخفاف ويخرجن متلحفات متبرقعات، فلا يظهر منهن شيء ولهن الصدقات والإيثار، ومن غريب حالهن أنهن يجتمعن لسماع الواعظ في كل يوم اثنين وخميس وجمعة بالجامع الأعظم، فربما اجتمع منهن الألف والألفان بايديهن المراوح يروحن بها على أنفسهن من شدة الحر، ولم أر اجتماع النساء في مثل عددهن في بلدة من البلاد.

ثامنا: القرن التاسع الهجري

لا تقدم مصادر القرن التاسع الهجري معلومات وافرة عن شيراز، إذ تكتفي بالإشارة إلى أنها مدينة بأرض فارس، وهي مدينتها العظمى ودار مملكة فارس، وينزلها الولاة والعمال، وبها الديوان والمجبى، وهي مدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج. وتعني جوف الأسد، لأنها تجلب إليها الميرة من سائر البلاد، ولا تخرج منها الميرة البتة، وهي مدينة جليلة المقدار حسنة النواحي طولها نحو من ثلاثة أميال، وهي متصلة البناء لا سور لها ولا أسواق ولا عمارة، وهي قرارة الجيوش وأولي الحرب والدواوين والجبايات، وشرب أهلها من الآبار، وليس فيها منزل إلا ولصاحبه فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون في البساتين، وقيل: كل شرب أهلها من عيون

وعلى غرار التحديدات العامة فإن التوطينات والتحديدات المرتبطة بشيراز قليلة وتكاد تنعدم.

خاتمة

وبناء على ما سبق، يظهر أن ظهور شيراز في المصادر العربية على اختلافها، منذ القرن الثاني الهجري، وحتى القرن العاشر الهجري، شهد تحولات عديدة، حيث كان ظهورها الأول مرتبطا بالمستوى اللغوي، وهو ما ظل حاضرا قرونا عادة، في بعض المفردات والكلمات التي اعتقد أن أصلها غير عربي، أو المرتبطة بمجال جغرافي آخر كطعام المجوس، وغيرها من التوظيفات اللغوية.

أما على المستوى التاريخي، فقد ظهر الحضور المتذبذب لشيراز في المصادر التاريخية، فمن منطلق لعمليات الفتح، خلال صدر الإسلام، إلى مرتكز أساسي لمجموعة من الأحداث التي عرفتها المنطقة بلغت ذروتها بين القرنين الثاني والرابع، قبل أن تبدأ بالتراجع التدريجي، واقتصر حضورها على تكرار الروايات التاريخية السابقة، وتسجيل تراجم بعض الأعلام والفقهاء الذين مروا من المدينة، دون أي إضافات.

في نفس الآن، اختلفت المصادر التاريخية وحتى الجغرافية في توثيق أصول المدينة، فبينما أرجعت أغلبها تأسيس شيراز إلى الفترة الإسلامية، حيث كانت مجرد معسكر في طريق المسلمين صوب اصطخر، قبل ان تتحول إلى مدينة، ثم قصبة (عاصمة) فارس، فإن

مصادرا أخرى أرجعت الأمر إلى الفترة قبل الإسلامية بقرون.

على المستوى الثقافي، فإن تجميع الإشارات المصدرية، يدفع إلى استنتاج أن المدينة اتسمت بطابعها المتعدد، حيث حضرت أغلب المذاهب شيعية وسنية وصوفية واعتزالية، بل ومن ديانات أخرى (يهودية ومجوسية)، بشكل جعل من الصعب وصف المدينة او طبعها بطابع مذهبي معين، بينما أشارت بعض المصادر إلى مناخ يسود فيه الزنا وكافة المعاصى وهو وإن كان مجرد تحامل من أصحاب هذه الروايات، لكنه قد يقدم صورة ولو نسبية على المنطقة.

لكن سيلاحظ حدوث تحول نوعي في هذه الصورة ابتداء من القرن الثامن الهجري، بين ما قبل ابن بطوطة ورواية ابن بطوطة حول شيراز، حيث جرت العادة أن تصف المصادر شيراز بأن أغلب أهلها مجوس، وان الزنا فيها شائع، ودور الزنا مفتوحة ومعروفة، وأن أهلها لا خلق لهم ولا عهد ولا ميثاق؛ لكن ابن بطوطة سيقدم صورة مختلفة عن المدينة، يسود فيها التدين، ونساءها لا يخرجن إلا وهن منقبات، مع هيمنة للفقهاء ورجال الدين.

يبدو التناقض واضحا بين الصورتين، وهنا يجب طرح السؤال، ما سبب هذا التناقض، هل كان الأمر محض تجميع لروايات متناقضة حركتها دوافع أيديولوجية، ام أن لهذا التناقض ما يفسره من تحول حدث في المجال الجغرافي؟

وبالانتقال للمستوى الجغرافي، تسجل الدراسة أن الظهور الأول لشيراز في المصادر الجغرافية سجل في القرن الثالث الهجري، وبلغ ذروته في القرن الرابع الهجري قبل أن يتضاءل تدريجيًا، وهذا يتناقض مع أهميتها التاريخية المبكرة، كما كان من الملاحظ غلبة التكرار والاجترار على شيراز، إذ لا تتعدى أغلب الإشارات ذكر موقعها وسط فارس وأهميتها وغيرها من التحديدات المجترة، والتي لا يمكن أن تسهم في تقديم فكرة عن المجال ككل وخصائصه الجغرافية والأنثروبولوجية كذلك.

وبتجميع الإشارات الجغرافية الواردة في المصادر يلاحظ أن ما تقدمه يتناقض أو يختلف جغرافيا عن شيراز الحالية، ويمكن تجميع نقط الخلاف في الآتي:

- ذكرت المصادر أن مساحة شيراز تبلغ فرسخًا واحدًا (حوالي ٥,٥ كيلومترات)، وأنها غير مسورة بينما تبلغ مساحة شيراز الحالية حوالي ٢٤٠ كيلومترًا مربعًا، وهي مدينة كبيرة ومترامية الأطراف.
- وصفت المصادر التاريخية شيراز بأنها ذات مناخ استوائي، وتقع على طريق البلاد الحارة أو بين البلاد الحارة والباردة. بينما مناخ شيراز الحالي يعتبر شبه جاف، مع صيف حار وجاف وشتاء معتدل.
- وصفت المصادر شيراز التاريخية بأنها تقع في منطقة جبلية ضيقة، مع وجود فج ضيق

قريب، بينما تقع شيراز الحالية في سهل واسع تحيط به الجبال من جميع الجهات تقريبًا.

- ذكرت المصادر التاريخية وجود بحيرتين قرب شيراز، ولكن لا توجد مثل هذه البحيرات قرب شيراز الحالية.
- ذكرت المصادر أن شيراز التاريخية كانت تشتهر بزراعة الحنطة والشعير والأرز والقطن والعنب والتين والجوز والسفرجل والنرجس والزعفران، بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الفواكه والخضروات. بينما شيراز الحالية وإن كانت لا تزال منطقة زراعية مهمة، إلا أنها تشتهر شيراز بإنتاج العنب والرمان والحمضيات والزيتون، بالإضافة إلى بعض المحاصيل الأخرى مثل القمح والشعير.
- على مستوى التحديدات فقد قدمت المصادر عددا كبيرا من التحديدات والتوطينات للموقع، وربطتها بشبكة جغرافية كبرى تبدأ من فارس، نسابور ونيسابور والكورة، وغيرها من التحديدات، لكن بمقارنة هذه التحديدات نسجل مجموعة من الاختلافات نورد منها على سبيل المثال فقط لا الحصر:

المنطقة	المسافة في المصادر القديمة	المسافة الحالية
جوين	٥ فراسخ (٢٤ كلم)	٨٦٩ كلم
فسا	٣٠-٢٧ فرسخ (١٤٤-١٣٠)	١٤٨ كلم
كوار	١٠ فراسخ (٤٨كلم)	٥١ كلم
نيسابور	٧ فراسخ (٣٣كلم)	١٢٤٤
الاهواز	١٠٢ فرسخ (٤٩٢)	٥٣٤ كلم
اصطخر	١٢ فرسخ (٥٧)	٦٩ كلم
زياد اباد	٨ فراسخ (٣٨كلم)	١١٢ كلم
اصبهان	٧٠ فرسخ (٣٣٧ كلم)	٤٠٣ كلم
دارابجرد	١٥٠ ميل (٢٤١ كلم)	٢٢٠ كلم
سيراف	٦٣-٦٠ فرسخ (٣٠٢-٢٨٨)	٣٨٤ كلم

إضافة إلى المسافات يسجل كذلك اختلاف الاتجاهات بين الشرق والغرب وغيرها، وهذا ما يجعل الأمر كله محط تساؤل واستفسار، بل قد يدفع إلى أن الأمر قد يشك جواب بالنفي حول مدى انطباق شيراز التاريخية على الحالية، وحتى لا يكون الاستعجال في اصدار حكم او نتيجة نقترح أن يتم وضع شيراز ضمن ثلاثة أنساق جغرافية هي:

- نسق جغرافي مرتبط بفارس، يحدد حدود هذه المنطقة وخصائصها وتوطينها، وأقاليمها وبلدانها.
- نسق مرتبط في العلاقة بين فارس والشام ومصر والروم، يحدد موقع فارس ضمنهم وحدود التداخل والانفصال بين كل مكون جغرافي من هذه المكونات.
- نسق مرتبط بموقع شيراز ضمن أرض فارس، وشبكيتها الجغرافية، ومن ثم يعيد توطين الموقع بناء على التحديدات المستخرجة في هذه الدراسة، ليجيب عن السؤال التالي: هل شيراز الحالية هي شيراز التاريخية؟

***

(طرق الحرير القديم) المعبر الثقافي والحضاري لأنتشاء اللغة الآرامية

أ. د أبتهال عادل أبراهيم

كلية الآداب - جامعة كركوك

كلمات مفتاحية:

تأريخ قديم – تجارة – ثقافة – لغة.

Key words:

Ancient history –Trade-Culture-Languge

ملخص:

أستطاعت اللغة الآرامية من بسط هيمنتها ونفوذها في العالم القديم ومحكمة قبضتها على العمق الأستراتيجي لحضارات طريق الحريرقاطبة بفضل تحكمهم بالتجارة البرية فالآراميون بحق يعدون الرواد الحقيقيون لهذا الطريق وساعدهم في ذلك أمتلكهم الأبجدية الآرامية وسهولة الكتابة بها فضلا عن أستخدامها في التعامل التجاري. وهناك مسألة جوهرية يجب الأنتباه اليها وهي أن تأثيراتها الحضارية "اللغوية "لازالت باقية الى الوقت الحاضر ولايزال سكان العديد من القرى في شمال إيران؛ تركيا؛ العراق وسوريا يتكلمون بها، فتوصلهم لهذه الأبجدية التي أخذوا أصولها من الكنعانية أدت الى أعتمادها كلغة رسمية على عهد الأخمنيين ليس هذا فحسب فعندما بدأت جحافل اللغة الأغريقية بالظهور ومزاحمتها أثناء الغزو المقدوني لم تنجح في أنهائها وأنما بقيت اللغة المساندة في ذلك العصر. وعادت الى قوتها على عهد البارثيين وأخذ الكثير من التجار الآراميين بعملية النقل الحضاري كما ساهمت بعثات التبشير بالبوذية والحجاج الصينيون والهنود بنقلها الى الهند ثم الى الصين وكوريا وأخيرا اليابان وساهمت أبجديتهم في تحفيز النظم الكتابية لحضارات طريق الحرير القديم .أما على عهد الساسانيين والرومان نجد قوتها مازالت باقية والذي ساعدها في ذلك ظهور المسيحية فكان المبشرون المسيحيون قد أتخذوها لغة لهمم وعملوا على التبشير بالديانة المسيحية بها في كل الأرجاء التي وصلوها .وأخيرا وليس آخر فأن أهم تأثير ثقافي لرواد طريق الحرير هو ماتركتها الأبجدية الآرامية في تحفيز ظهور الخط العربي الذي أشتق أصوله من الخط النبطي وهو الخط الذي دون به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

The Ancient Silk Roads, The Cultural Crossing Point Of The Aramaic language

PH.D. Epthall Adel Ibrahim

Collegeof Law/NinevehUniversity

Aramaic language has gained its dominance and influence in the ancient world، and has tightened its grip on the

strategic depth of the civilizations of the Silk Road by virtue of their control of the land trade. They are the true pioneers of this road، assisted by the Aramaic alphabet، its ease of writing and trade. A fundamental issue is that its effects are still lingering. The present and still the inhabitants of many villages in northern Iran; Turkey; Iraq and Syria speak it, the most important cultural influence of the Silk Road pioneers is its Aramaic alphabet in motivating the emergence of Arabic calligraplly.

اللغة كسائر الموجودات في الكون تتعرض للفناء والزوال؛ التحول والتغير وسبب ذلك في تتابعها ناموس المشابهة الطبيعية أو تزول لغة لعدم أنسجامها وتناسبها مع البيئة وسوف تظهر من أنشلاء لغوي وبقاياها لغة أخرى كما أن الألفاظ قابلة للتحول ويتغير نوعها بنوع آخر ويصعب تميزنوع بين بين كما يصعب تميز لغة من فروعها ولهجاتها تميزاً تام[1] .أعتاد البشر منذ القدم على الترحال والتنقل ثم السعي الى أقامة العلاقات التجارية فشقت على مر التاريخ طرق للمواصلات والطرق التجارية فتبادل عبرها الناس من كل أصقاع العالم السلع والبضائع المختلفة وبمرور الزمن تشابكت وترابطت تلك الطرق لتشكل ما يعرف بطريق الحرير؛ وهومصطلح حديث العهد نسبيا إذ لم تحمل تلك الطرق القديمة طوال معظم تأريخها أسما بعينه؛ والتسمية أطلقت على مجموعة من الطرق البرية والبحرية التي كانت تسلكها القوافل التجارية والبحرية والتي تمتد لنحو ١٥ ألف كيلومتر تسلكها القوافل والسفن قديما بهدف نقل البضائع التجارية مابين الصين وآسيا الصغرى؛ الوسطى؛ بلاد العرب؛ الفرس؛ إفريقيا وأوربا وقد تصل مدة الرحلات الى عدة شهور؛ وأول من أطلق تلك التسمية الجغرافي الألماني البارون فريديناند فون ريتشتهوفن في القرن التاسع عشر وتحديدا في عام ١٨٧٧م[٢] .

وسمي بطريق الحرير نسبة الى أهم سلعة تصدرها الصين وهي الحريرعبرهذا الطريق فقد أكتشفوا صناعة الحرير منذ حدود ٣٠٠٠ق.م كما عرفوا في الوقت عينه فنونا متعددة لأتقان صناعته وتطويره فأعجبت الناس به فسعوا الى أقتنائه بعدة طرق حتى أنهم كانوا

(١) مهوش أسدى خمامي: "التركيب والأشتقاق أمران أساسيان لتعايش اللغة مع الحضارة "ضمن كتاب اللغات والحضارات الشرقية نظر وتطبيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالرباط، ط١، الرباط-٢٠٠٥، ص٢٣١.

(١) تذكر بعض المصادر أن الصينيين أكتشفوا صناعة الحرير منذ حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد كما عرفوا في هذا الوقت المبكر فنوناً متعددة لإتقان صناعته وتطريزه وقد أعجبت هذه الصناعة الناس قديما فسعوا الى أقتناء الحرير بعدة سبل حتى أنهم كانوا يحصلون عليه مقابل وزنه بالأحجار الكريمة ينظر أيرين فرانك؛ ديفيد براونستون، ترجمة أحمد محمود، المشروع القومي للترجمة، القاهرة-بدون تأريخ، ص١٣-١٤.

يحصلون عليع مقابل الأحجار الكريمة وقد أحتفظت الصين بسر أنتاجه لمدة لاتقل عن الفي عام كانت خلالها الصين المصدر الوحيد للأقمشة الرقيقة التي تصل الى الغرب حتى القرن السادس الميلادي فكان الصينيون عندما يذهبون الى المناطق الواقعة غرب بلادهم أو أبعد من ذلك يقدمون الحرير كهدية.حمل طريق الحرير تسميات عديدة مثل اليشم؛ طريق الأحجار الكريمة؛ طريق البوذية؛ طريق الفخار والخزف وكان كل أسم من تلك الأسماء يطلق على جزء من الطريق فهذا الطريق عبارة عن شبكة من الطرق الفرعية التي تصب في طرق أكبر .ترك طريق الحرير تأثيره الواضح في الحضارات القديمة وتحديدا الصينية؛ الهندية؛ الأيرانية؛ العراقية؛ المصرية والرومانية فهو يمتد من المراكز التجارية في شمال الصين و ينقسم الى قسمين شمالي وجنوبي أو شتوي وصيفي يمر القسم الشمالي من منطقة بلغاركيبشال وعبرشرق أوربا وشبه جزيرة القرم وصولا الى البحر الأسود وبحر مرمرة والبلقان وينتهي بمدينة البندقية أما القسم الجنوبي فيمر من تركستان؛ خراسان؛ العراق؛ الأناضول؛ سوريا من خلال تدمر وأنطاكية الى البحر المتوسط أو من خلال دمشق الى لبنان وفلسطين الى مصر وشمال إفريقيا وقد أنتظمت تجارة طريق الحرير منذ القرن الخامس قبل الميلاد وما بين القرن الثاني قبل الميلاد والثاني الميلادي كان الطريق يجمع بين أمبراطوريات أربع: الرومانية في أوربا؛ الفرسية في أيران؛ مملكة كوشان في الهند وأسرة هان الصينية في الشرق . لقد تعارف علماء الآثار على رسم صورة للحركة من الغرب للشرق حيث ترحل الثقافات الأصيلة في الشرق الأدنى القديم الى الصين عبر الهضبة الأيرانية وسهوب آسيا الوسطى وصحاريها فقد كانت الأجزاء الداخلية من آسيا قناة توصيل في المقام الأول في حين كانت الصين خلال العصور الأولى متلقيا سلبيا في المقام الأول ولم تصبح لها حضارتها المتميزة الإ فيما بعد؛ فالكثير من الجوانب الأساسية للحضارة الشرقية القديمة أنتشرت في قارةآسيا فهي تارة تنتقل من شعب لآخر وتارة أخرى تحملها الشعوب جميعا في ترحالها(1) .

فهو قد ربط الصين بالغرب ويعد من الممرات التأريخية المهمة التي ساهمت في تلاقح وتلاقي الشعوب؛ الثقافات والحضارات وتسير المبادلات بينها فقد أضطر التجار الى تعلم لغات وتقاليد البلدان التي سافروا عبرها وقام العديد من المسافرين بسلك هذه الطرق فقد جمع الطريق مابين التجارة؛ السياسة والثقافة على الرغم من تجارة الحريركانت أهم الدوافع لإقامة هذا الطريق التجاري عبر آسيا الوسطى فإن الحرير كان واحدا من العديد من السلع المتبادلة بين الشرق والغرب منها: التوابل؛ البخور؛ الأخشاب؛ البذور؛ جلود الحيوانات؛ الأدوات؛ المشغولات

(١) فرانك؛ براونستون: المصدر السابق، ص٦٠.

الخشبية والمعدنية؛ الأحجار الكريمة والأواني الخزفية فكان بحق ممرا تجاريا وحضاريا معا؛ وبفضل حركة الشعوب المستمرة الأوربية والآسيوية وأختلاطهم المتواصل مما كان له التأثير الكبير في تأريخ شعوب المنطقة الأوربية والآسيوية ولم تكن التجارة هي المطمح الوحيد الذي جذبت التجار والرحالة على طول الطريق وأنما كان للتبادل الحضاري فأصبح التلاقح الفكري-الثقافي الذي كان سائدا في المدن المحاذية لهذه الطرق حتى أن العديد من هذه المدن تحولت الى مراكز للثقافة والتعليم. نستطيع أن نؤكد بأن أهم تأثير حضاري بقي الى الوقت الحاضر بالنسبة الى الآراميين يتمثل بلغتهم فقد أنتشرت في أنحاء العالم القديم وأثبتت جدارتها وقدرتها على البقاء، و يتكلم بها العديد من سكان المدن والقرى في شمال العراق؛ إيران؛ تركيا وسوريا؛ فمن عجائب التاريخ أن اللغة الآرامية لايمثلها سوى مجموعة قليلة من النصوص المنقوشة المعاصرة لهم في حين أن التأثيرات المعرفية للغة الآرامية أمتدت الى الأبعد من نطاق حدود تواجد الآراميين. وهذا ما تحاول هذه الدراسة معالجته بالشكل التالي:

المحور الأول: القبائل الآرامية لغتهم؛ سهولة الكتابة وعوامل الأنتشار

يعدالآراميون من القبائل الجزرية الغربية "سامية" هاجرت من الجزيرة العربية بسبب التغيرات التي حصلت في ظروف المناخ الذي عم منطقة الجزيرة العربية (١) وتؤلف لغتهم مع اللغة الكنعانية واليهودية مجموعة اللغات الجزرية الغربية ويأتي الآراميون من بعد الأموريون أو ربما يوازوهم في ضخامة هجراتهم وكثرة قبائلهم وتنقلتهم في بوادي الجزيرة العربية والأقسام الشمالية من بلاد الرافدين وتمكنت مجموعات كبيرة منهم التوغل والأستقرار في المناطق الشرقية من بلاد الشام ثم هاجروا الى المناطق الشمالية وأستقروا أخيرا في أعالي ضفاف نهر الخابور والفرات بحدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد"القرنين الرابع عشر والثالث عشر" مارس هؤلاء البدو الرحل القيام بأعمال معينة ضمن أطار الدول والممالك الكبرى ذات الأتساع الجغرافي الكبير وكانت الأعمال التي قاموا بها تتناسب مع قدراتهم وطبائعهم مثل تربية الحيوانات؛ التجارة الخارجية؛ أرشاد القوافل؛ التجسس ونقل الأخبار والمراسلات (٢) وتمكنوا من اقامت العديد من الدويلات والممالك اتي بلغت أوج أزدهارها في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد مثل ملكة نهرايم؛ آرام صوبا؛ آرام معكة؛ فدان آرام وأشهر تللك الدويلات كانت مملكة دمشق الآرامية(٣).

---

(١) بشير زهدي: "مملكة دمشق الآرامية"، الحوليات الأثرية السورية، م٨-٩، دمشق-١٩٥٨-٥٩، ص٧٥؛ علي أبو عساف: الآراميون، دمشق-١٩٨٩.

(٢) إيفا كانجيك كيرشباوم: تأريخ الآشوريين القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، ط١، دار الزمان، دمشق-٢٠٠٨، ص٥٧.

(٣) كان الضغط الآشوري من بين أهم الأسباب التي أعاقتهم من إنشاء دولة كبرى على غرار الدول في بلاد الرافدين وبلاد =

وقد تأثر الآراميون بحضارة الأقوام التي سبقتهم في الأستقرار من الأموريين والكنعانيين وقد أخذوا الكثير من عاداتهم وتقاليدهم مع أحتفاظهم بلغتهم الخاصة وهي اللغة الآرامية التي تكتب بأبجدية مشتقة من الفينقية [١]؛ فما أن حل الألف الأول قبل الميلاد حتى ظهرت اللغة الآرامية الى حيز الوجود والتي مالبثت أن أنتشرت هي والكتابة متلازمة مع التجارة في مناطق الشرق الأدنى برمته[٢]. وتمكنوا من أحداث تغيرات لغوية وثقافية ملموسة فكانت الحاجة الى لغة مشتركة موحدة تجمع مختلف شعوب لأن اللغات المحلية كانت عاجزة عن تأدية مثل الدور بأستثناء اللغة الآرامية التي كانت واسعة الأنتشار [٣] في أكثر مناطق العالم القديم مدنية وحضارة وأستطاعت فرض هيمنتها الثقافية كما أستطاعت دمج المكونات الثقافية

=

النيل كما عمل على خنق الثقافة الآرامية من الناحية السياسية فإن تأثيراته لم تقتصر على منع قيام دولة آرامية موحدة في بلاد الشام وشمال بلاد الرافدين بل إنه أزال الدويلات الأخرى من الوجود ينظر طه باقر: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ط١ 'بغداد-١٩٥٦ج٢، ص٣٠٣-ص٣٠٨-٣٠٩وما بعدها

(١) دوبونت سومر: "الآراميون"ترجمة الأب البير أبونا، م ١٩، ج١-٢، بغداد-١٩٦٣، ص٩٦.

(٢) برهان الدين دلو: حضارة مصر والعراقالتاريخ الأقتصادي-الأجتماعي-الثقافي والسياسي، دار الفارابي ومكتبة السائح، ط٢، بيروت-٢٠١٤، ص٣٤٨.

(٣) جورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان، دائرة الشؤون الثقافية وزارة الثقافة والأعلام، بغداد-١٩٨٥، صص٥٥١-٥٥٢.

لشعوب الشرق الأدنى القديم [٤]ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد تظهر في النصوص الآشورية خلاصات باللغة الآرامية توضح مضمون النص المسماري وكان هذا الجهد يعود للكتبة الذين كانوا يتقنون اللغتين معا ولقد كان لذلك أمرا له قيمته في أكثرمن مجال وأعان على تحديد نطق بعض حروف اللغة الأكدية .[٥]هناك عوامل عديدة قد أسهمت في الأنتشار الكبير للغة الآرامية نستطيع أن ندرجها بالشكل التالي:

-الأمتداد الجغرافي الواسع للآراميين فقد تركت هجرة هؤلاء القبائل جماعات منهم على طول الخطوط الرئيسة للتجارة أبتداءا من ماوراء نهر الأردن؛ فلسطين؛ بلاد الشام ومصر في الغرب الى المناطق القريبة من الخليج العربي؛ [٦] وبلاد الرافدين في الشرق كان لذلك أثره الكبير في تأريخ الجزريات جملة وتفصيلا وأدى الى صهر ودمج الكل اللغوي –الثقافي الجزري وتفاعل لغاته وحضاراته المختلفة ببعضها البعض وكذا بلغات وثقافات مختلفة [٧]على المدى

(٤) نزهة الزبيري: "جوانب من الإسهام الآرامي في تلاقح حضارات الشرق القديم"ضمن كتاب آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات، تنسيق أحمد شحلان، منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالرباط، ط١، الرباط-٢٠٠٥، ص٦١.

(٥) دلو: المصدر السابق، ص٣٤٨.

(٦) هاري ساكز: البابليون، ترجمة سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديدالمتحدة، ط١، ليبيا-٢٠٠٩، ص٢٠٩.

(٧) الزبيري: المصدر السابق، ص٦٣.

البعيد الفارسي واليوناني الهندي والصيني وهذا ما أضفى على لغتهم مكانة عالمية وجعلها أداة مهمة للتواصل والأتصال عند التجار وأستخدامها لغة رسمية في التعاملات الأدارية .كما أدى تهجير الآراميين بأعداد كبيرة وأعادة تسكينهم مرة أخرى في الدولة الآشورية لأجل أستخدامهم بالجيش وبأعمال السخرة [١] وترتب على ذلك حدوث التأثيرات الحضارية المتبادلة مابين الجانبين وبرز ذلك من خلال الأستعمال الواسع للغة الآرامية في الدولة الآشورية فنجد التأثيرات اللغوية الآرامية الكثيرة على اللغة الأكدية بلجتها الآشورية وأخذت عنها كلمات دخيلة وعبارات كثيرة حتى أصبح نظام الكتابة الآرامية يستعمل الى جانب الكتابة المسمارية [٢].

(١) سعى الآشوريون لأجل أستقرار الآراميين المهجرين في أماكنهم الجديدة الى تزويدهم بالطعام والشراب وتويجهم ينظر خالد الدسوقي: دراسات في شعوب الشرق القديم، مكتبتي، القاهرة-١٩٨٢، ص ١٥٦.,Saggs. H.F, Iraq, Vol.18 London-1956p. 44

(٢) أدى الأندماج مابين المهجرين من الآراميين مع السكان الأصليين في المجتمع الآشوري الى حد أنه توجد داخل أفراد العائلة الواحدة أسماء آرامية وأشورية فيرد ذكر أخوين أحدهما يحمل إسما أشوريا والأخر يحمل أسما آراميا عن هذا الموضوع ينظر:

Some Aramic Epingraphs ", Iraq, pt.2, London-1972, p.136.Fales, F.M.M.، "Alist of Assyrian and West

Semitic Women", Iraq، Vol. 16,London-1954, pp.33-36 "Millard, A.R.

-سهولة الكتابة: من بين الأمور المهمة التي ساعدت على سرعة أنتشار اللغة الآرامية سهولة الكتابة بها لبساطة حروفها ولسرعة التدوين وأخف من العلامات المسمارية التي تبلغ نحو ستمائة رمز مقطعي وصوتي [٣]فقد أتخذ الآراميون أثنين وعشرين حرفا صوتياًأنسيابياًوهجائياً فحتى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد كانت ممارسة الكتابة القياسية بأستثناء مصر وكريت يعتمد على الخط المسماري لتدوين اللغة الأكدية والتي كانت اللغة الدولية في تلك الحقبة[٤].-مادة الكتابة: كانت اللغة الآرامية تكتب على الرقاق[٥] وهي جلود الغزال أو الشياه الصغيرة أو الجداء وليصبح صالحا للكتابة يخضع لعدة عمليات منها أزالة الشعر العالق به ثم ينقع مرتين: الأولى في خليط الماء والملح والثانية في مزيج مكون من قشر الرمان والعفص وهما مادتان صالحتان لتجفيف الدهنيات من الجلد بعد ذلك يرقق الأخير الى أقصى

(٣) الدسوقي: المصدر السابق، ص١٥٦؛ علي فهمي خشيم: الأكدية العربية، تحقيق ناهد عبد الفتاح، مركز الحضارة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة-٢٠٠٥، ص٩.

(4) Ross, B. Correspondence in clay “ in Aramco world، Vol.50, No.6 1999, p. 31-34

(٥). جدير بالذكر أن الرق ورد ذكره في القرآن الكريم: "والطور وكتاب مسطور في رق منشور"سورة الطور الآية من ١-٤وكان يشترط في الرق الذي أستعمل في العصر الأسلامي أن يكون مذبوحاً ذبحاً شرعياً حتى يكون نقياًطاهراً خاصة أذا أستخدم لكتابة القرآنالكريم ينظر، ص٩٧.

درجة ممكنة وتضاف اليه مواد أخرى لتبيضه أو تلوينه حتى يظهر عليه سواد الحبر أثناء الكتابة ثم يجفف في الظل[١]؛ وقد وجدت في المنحوتات الجدارية الآشورية التي تعود الى الملك تيجلاتبليزر الثالث صورة فيها لكاتب آرامي يدون بالآرامية على الرقاق أوعلى ورق البردي الغنائم والأسلاب التي أستولى عليها من أحدى الدويلات في بلا د الشام . كما أستخدم الأديم وهو الجلد الأحمر أو المدبوغ والقضيم وهو الجلد الأبيض [٢]أو على البردي وهو الخوص نبات ينبت في الماء وله ورق كخوص النخل له ساق خضراء مائلة الى البياض عليه مقلة كبيرة يصنع بها ورق أبيض يعرف بالقرطاس [٣] ، ويتم تحضيره بوضع سيقانه بالماء لتنعم ثم تنزع عنها القشرة الخضراء ويبقى اللب الناعم فيقطع الى شرائح طولية بسكين ثم ترتب هذه القطع حسب الحجم والنوع وتجمع بعضها الى جوار البعض الأخر على لوح رطب وتغطى بطبقة أخرى من قطع متعامدة ويضغط على هاتين الطبقتين حتى تلتصق بمادة لاصقة وتشكل القطع بعد ذلك وتترك في الشمس لتجف ثم تحك بقطعة من العاج أو محارة أو مطرقة وأحيانا تطلى

(١) محمود عباس حمودة: تأريخ الكتاب الإسلامي المخطوط، دار غريب للطباعة والنشر، الجزائر-١٩٩٤، ص٧٥.

(٢) تمليكشت: المصدر السابق، ص٩٧ص٩٨.

(٣) ورد ذكر القرطاس مرتين في القرآن الكريم: "ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم "سورة الأنعام الآية: ٧.

بطبقة لاصقة وتضم القطع الواحدة الى الآخرى لتلتصق عند رؤوسها [٤]أو كسر الأواني الخزفية "تسمى بالعامية الدارجة في بلاد الشام بالشقفات"ولكن بقاء المادتين الأوليين من غير المحتمل أن يتحمل البقاء في بيئة بلاد الرافدين والدليل الوحيد على أستخدامها الأشارات الواردة في النصوص المسمارية أما بالنسبة الى الخزف فأن الدليل المتوافر على أستخدامها كسطوح للكتبة في الرسائل الباقية على الخزف بالآرامية كإحدى الرسائل التي وصلتنا من منتصف القرن السابع [٥].

-النشاط التجاري الواسع مكن الآراميين من وضع أيديهم زمام السيطرة والتحكم بالتجارة البرية العالمية لعدة قرون كما أحتكروا معرفتهم بطرق المواصلات المؤدية الى العراق والمدن الفينقية من جهة الغرب والى آسيا الصغرى من جهة الشمال فأنشأوا الكثير من المحطات التجارية التي أقيمت على طول طرق القوافل التجارية منذ القرن التاسع قبل الميلاد فكان التجار الآراميون يرسلون قوافلهم الى جميع جهات الهلال الخصيب وحتى الى منابع دجلة في الشمال[٦]، فهم بذلك الرواد الحقيقيون لطريق تجارة الحرير و رافق التوسع بالنشاط التجاري الأنتشار الكبير للغة الآرامية في مختلف البلدان فأصبحت اللغة الرسمية

(٤) تمليكشت: المرجع السابق، ص١٠٠-١٠١.

(٥) ساكز: البابليون المصدر السابق، ص٢١٢.

(٦) باقر: المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٨.

الى جانب كونها اللغة العامة للتجارة ولغة التخاطب في عموع تلك المناطق التي وصلتها قوافلهم التجارية [1]وعمل التجار الآراميون على التعامل التجاري بها في الأسواق التجارية لشعوب العالم القديم وهذا كان له الشأن الكبير في الأنتشارالواسع للغتهم ولم تتهيأالفرصة لغيرها من اللغات الجزرية في تحقيق مثل هذا الأنتشار[2] .

ساعد أنتشار اللغة الآرامية على تناقل الأفكار والثقافات مابين شعوب طريق الحرير وكسرت الحواجز الفكرية ومهدت الطريق لأعطاء طابع الوحدة الحضارية [3] فبالنسبة الى الأمبراطورية الآشورية نجد الأستعمال اللغة الآرامية الى جانب اللغة الأكدية في المراسلات الرسمية للدولة وفي عدد من الرسائل المتبادلة مابين الملوك الآشوريين وحكامهم التابعين ونجد أحدى الرسائل يشكو فيها الملك سرجون الثاني من تسلم رسائل باللغة الآرامية حيث كان معارضا لهذه الفكرة في تسلم رسائل من موظفيه ربما يعود السبب في ذلك الى أعتزازه وأفتخاره بلغة أجداده أو

(١) محمد أبو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت-١٩٨٧، ص١٦٧-١٦٨.

(٢) إبراهيم رزقانة وآخرون: حضارة مصر والشرق الأدنى، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة -بدون تأريخ، ص٣٨٣.

(٣) أسامة عدنان: أبحاث ف يتأريخ الشرق الشرق الأدنى القديم، دار آشوربانيبال، ط١، بغداد-٢٠١٤، ص١٠٩.

ربما يكون السبب في ذلك لسرية الرسالة وعدم الرغبة في تعرض تلك الرسائل لأن تقرأ من قبل الناس مقارنة بتلك المكتوبة باللغة الأكدية فنجده يبعث الى "سين أدينا"في مدينة أور رسالة نقرأ فيها: "أستنادا الى ما كتبت إذا كان مقبولا (لل)ملك ، دعني أكتب

وأبعث (رسائلي)للملك بالآرامية على رسائل ملفوفة، لماذا لا تكتب وتبعث (رسائلك) بالأكدية على رقم طينية؟ رسالتك التي

كتبتها يجب أن توقف بهذا الأمر (الملكي)"

يتضح لنا أن اللغة الآرامية بدأت تشكل قلقا وخطرا حقيقيا تزاحم اللغة الأكدية في جوانب الحياة اليومية ومنها الجانب الرسمي للدولة والذي يتعلق بأسرارها ونشاطاتها وتحركاتها؛ هذا من جانب ومن جانب آخر فأنه يعكس أن الثقافة الآشورية لم تكن أشورية بحتة ولا آشورية -بابلية بل كات ثقافة مختلطة والباحث ساكز يحلو له تسميتها "بالهجينة"[4]

المحور الثاني: الأنتشار اللغوي والحضاري

الفرس: بالنسبة الى الفرس فأن لغتهم تنتمي الى عائلة اللغات الهندية الأوربيةأو الهندية الإيرانية التي تشمل على مجموعتان: الأولى تضم اللغات الهندية وتشمل السنسكريتة؛ والبراكريتية واللغات الهندية الحديثة؛ و

(٤) لم يقتصر تأثير الآراميين على الثقافة الآشورية لمفردهم وأنما كان الى جانبهم الكتبة المصريون الموجودون في البلاط الآشوري ينظر: هاري ساكز: قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، المجمع العلمي العراقي، بغداد-١٩٩٩، ص١٨٣-١٨٤.

الثانية التي تضم اللغات الإيرانية و تشمل الفارسية القديمة؛ الأفستية؛ البهلوية؛ الفارسية الحديثة؛ الكردية؛ الأسيتية؛ الأفغانية والبشتو. وقد أنفصلت الشعوب الهندية الإيرانية منذ الألف الثالث قبل الميلاد عن بقية الشعوب الهندية الأوربية وأطلقوا على أنفسهم تسمية الآريين أي الأشراف من أجل تميز أنفسهم عن باقي الشعوب وبعد أن تركوا موطنهم الأصلي في براري أواسط آسيا أنقسموا الى قسمين؛ الأول: الهندي والثاني الأيراني أستقر القسم الأول وادي السند وأطلقوا على موطنهم أسم "آريا فرتا"أي بلاد الآريين وسماهم الأيرانيون هندو نسبة الى بلاد السند لأن السين في السنسكريتية تقابله الهاء في الأفستية وعرفت بلادهم بأسم بلاد الهند .أما القسم الثاني فقد أتجه الى آسيا الوسطى على شاطىء نهر جيحون وسموا موطنهم الجديد بأسم "أئيرينه وئجه"أي موطن الآريين وقد توسع الإيرانيون في موطنهم وبسطوا سلطانهم على مناطق واسعة وسموا بلادهم بأسمهم "أئريانا"وهو الأسم الذي أصبح ف البهلوية "أران"ثم صار في الفارسية إيران أما أسم فارس(١) فهونسبة الى القبائل الفارسية ومنها جاءت تسمية اللغة والأدب الفارسي(٢) . ونظرا للصلات الحضارية لبلاد الرافدين مع بلاد عيلام فقد تأثروا بالخط المسماري وكان الخط العيلامي عبارة عن رموز وعلامات على هيئة مسمار ويكتب أفقيا أو عاموديا وأقبس العيلاميون من السومريون هذا الخط لكتابة لغتهم الهندو أوربية (٣). وبعد زوال الكيان السياسي للعيلاميين وظهور القبائل الفارسية التي تولت زمام الحكم في أيران نجد تأثر الفرس الكبير بالكتابةالآرامية (٤) التي بدأت "كما أشارنا سابقاً "تستخدم منذ الألف الأول قبل الميلاد كلغة في التبادل التجاري والتعامل اليومي من قبل التجار الآرامين الذين كانوا يتجولون في بلدان الشرق الأدنى وأحتلوا

---

(١) الجدير بالذكر ان الفرس كانوا اصلا احدى القبائل الهندوآرية المهاجرة التي استقرت اخيراً في عيلام وقد اسست عائلتهم المالكة في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، بعد ان قضى اشور بانيبال على مملكة عيلام اخميس (حا خمانيش) وقد دفع ارتفاع شأن قوة مملكة فارس الملك الميدي استيا جز ان يزوج ابنته من قمبيز الاول ومن هذا الزواج ولد كورش، ينظر
=

=

London , The Meades and Persians, D. G. ,Daniel
, D.D. ,p.41-46. p.49-50 : Luckenbill ,5 ,–19
Ancient Recoreds of Assyrain and Babylonia
p.581. , 1926 -1927: Vol.1 , New-York

(٢) محمد نور الدين عبد المنعم: معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ا لرياض–٢٠٠٥، ج١، ص١٢–١١.

(٣) حسن بيرنا: تأريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم؛ السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة –٢٠١٣، Vallat، f.، " The Most Ancient Scripts of Iran: The current Situation "، World Archaeology Vol.17، No. 3، 1986، p.345

(4)Vesta.S.C ,Sarah.S.، Birth OF The Persian Emire , London-2005 ,Vol1P13

مكانـة مهمـة في البنيـة الأقتصـادية للمملكـة الفارسـية الأخمينية فيما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد فقد أدى أنتشار لغتهم بشكل تدريجي في عموم الشرق الأدنى وصارت بحدود عام ٤٠٠ ق.م تستخدم في كل مكان تقريبا من مصروالحبشة الى بلاد فارس والهند [١] فحملوا الألوان الأرجوانية من مدن السـاحل الشـامي؛ الأقشمة المطرزة؛ الكتان؛ النحاس؛ الأحجار الكريمة؛ الشب؛ العطور؛ العقاقير؛ الأدوية؛ الزيـوت المختلفـة؛ التمـور والثمـار المجففـة وجلبوا النحـاس مـن قـبرص والأخشاب الثمينة كخشب الأبنوس؛ العـاج والصـمغ من أفريقيا واللؤلؤ من الخليج العربي ونقلـوا مـن تلـك المنـاطق التوابـل والبخـور وتنقلـت الجاليـات الآراميـة حاملة معها حضارتها وثقافتها ومعتقداتها وهـو مـا أدى الى تفاعـل بـين شعـوب طريـق الحريـر وثقافاتـه وعلـى أثرذلك أنتشـرت الثقافـة والفـن والتجـارة الآراميـة الـى منـاطق قريبـة وبعيـدة وهـذا يوضـح مـدى مـا كـان عليـه الآراميـون مـن حضـارة وتقـدم أسـتمر مـع تعاقـب الحضارات بعد ذلك . وهذا أكبر أنتشار تحرزه لغة لـم يسندها سلطان سياسي ولـم يقتصـر الأمـر علـى أنتشـار اللغة وحـدها إذ إنه بأنتشارها أنتشر أسـتعمال الحـروف الهجائية التي كتب بها الآراميين فأقتبسها العديد مـن الأقـوام القاطنـة علـى طـول طريـق الحريـر القـديم في

جميع أنحاء آسيا الصغرى في كتابة لغاتها المختلفة[٢] الى درجة أصبحت معه تلك اللغة؛ اللغـة الرسـمية أو كما يطلق عليها الباحثون"لغة المملكـة"لجميع أقطـار الأمبراطورية الفارسية؛ جدير بالذكر أن الكتابة واللغة الآرامية كانت مألوفةومعروفة في أسواق بـلاد الرافـدين وفي المحطـات التجاريـة المهمـة نظـرا لسـهولتها ولملائمتهـا للمعـاملات التجاريـة مـن أخـذ وعطـاء فكانت الأوراق والسندات التجارية تكتب بأقلام الحبر على الرقاق أو أوراق البردي لأن الكتابة بهـذه الطريقـة أيسـر مـن الكتابـة علـى الـرقم الطينيـة لأن الكتابـة علـى الطين بدأت بالزوال شيئا فشـيء [٣] .وأسـتطاعت اللغـة الآرامية أن تحل محل لغات الشرقية القديمة وتـوفرت لهـا فرصـة الأنتشـار السـريع بطريقـة تثيـر الدهشـة والذهول محدثة في مناطق غـدت فيهـا أزدواجيـة اللغـة مـن سـماتها الرئيسـية –وهـي أزدواجيـة لانعـرف عـن تفاصـيل تحـولاتها الأجتماعيـة –اللغويـة الإ الشـيء القليل [٤]وتمكن النـاس مـن التعامـل التجـاري بسـهولة ويسـر ونقلـوا السـندات التجاريـة مـن مكـان الـى آخـر وتمكنـوا مـن حفظهـا حتـى لاتتعـرض الـى التلـف[٥]

(١). ساكز: البابليون، المصدر السابق، ص١٩٨

(2) “The Persians” in peoplc of ‹Widengren G. .p.339. ‹London -1975 ‹old testament times

(٣) جيمس هنـري برسـتد: أنتصـار الحضـارة تـأريخ الشـرق الأدنى، القاهرة—١٩٦٦، ص٢٦٦.

(٤) كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، جامعة الرياض–١٩٧٧، ص٢٢–٢٨.

(٥) رزقانة: المصدر السابق، ص٤٢٩.

فأستخدمها الملوك الفرس الأخمينيون في كتابة وثائقهم؛ شؤون الدولة و البلاط وأصبحت لغة الرسائل الدولية التي يتخاطب بها ملوك بلدان الشرق الأدنى [1] فبعدما تمكن الملك كورش الأخميني من القضاء على الدولة البابليةالحديثة عام ٥٣٩ق.م وأسسس الأمبراطورية الأخمينية كانت الآرامية تنطق وتكتب في جميع أقاليم ومقاطعات المملكة ، وعندما بلغت حدودها على عهد دارا "داريوش(٥٢١-٤٨٦ق.م) شرقاالى نهر الهندوس وغربا الى نهر النيل وشملت بلاداً متعددة وشعوبا لم يسبق لها أن خضعت في وقت واحد لسلطة واحدة ففي النصوص المنقوشة على صخور بهستون قد سجل النقش الى جانب اللغة الأكدية باللغتين العيلامية والآرامية فوق قبر دارا ورد في النص أن ٢٩ شعبا بربريا في الأقاليم الشرقية خضعت للنفوذ الفارسي فضلا عن شعوب أخرى متحضرة حاول الملوك الأخمينيون مثل كورش ودارا توحيد تلك الشعوب بلغة واحدة [2]فكان لابد لهذه الأمبراطورية الواسعة من لغة دولية لكي تسهل العلاقات السياسية؛ التجارية والثقافية بين أقطارها المختلفةنظرا لكون الكتابة المسمارية غير عملية فكان الفرس يبحثون عن لغة سهلة ومفهومة بالنسبة لجميع الشعوب المختلفة الذين تحت سيطرتهم [3]فأعطاها الملك دارا زخماًجديداً فأعلن تبنيه لها رسميا كواحدة من اللغات الرسمية للأمبراطورية [4]فأستخدمت اللغة الآرامية بدلا عنها في كتابة الوثائق الرسمية المكتوبة بالفارسية [5] وقد سادت على جميع سكان الأمبراطورية وحلت شيء فشيء محل معظم اللغات الجزرية السائدة أخرجت الفينقية من الأستعمال وحلت محل اليهودية على مستوى التداول وأجبرتها على الأنكماش حتى على مستوى عمليات البيع والشراء[6] .

وجدير بالذكر أن اللغة الفارسية التي كان يستخدمها الملوك الأخمينيون "منذ عهد كورش ٥٥٢-٥٥٩ق.م والى عهد أردشير ٣٥٩-٣٣٨ق.م "عرفت باللغة الفارسية القديمة والتي دونوا بها أخبارحروبهم

---

(١).برستد: المصدر السابق، ص٢٦٦؛ بديع محمد: حضارة إيران قبل الأسلام، القاهرة-بدونتأريخ، ص٧٦..

(٢). ينظر: محمود أمهز: في تأريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، القاهرة-٢٠١٠، ص٣٠٤.

(٣).عدنان: المصدر السابق، ص١٠٩.

(٤).رو: المصدر السابق، ص٥٥٢؛ ساكز: قوة آشورالمصدر السابق، ص٢١٢..

(٥).كانت اللغة الفارسية القديمة والعيلامية والأكدية تستخدم فقط في التسجيلات التذكارية للنصوص التأريخية على المباني والتماثيل ونتيجة لذلك أنتصرت اللغة الآرامية وأصبحت اللغة الرسمية في داووين الأمبراطورية الأخمينية. ينظر: أمهز: المصدر السابق، ص٣٠٥؛ الأحمدوالهاشمي: المصدر السابق، ص١١١.

(٦).الزبيري: المصدر السابق، ص٦٢؛ وللمزيد من التفاصيل عن الصراع اللغوي مابين اللغات الجزرية ينظر: علاء عبد الدائم: "الصراع اللغوي بين الحضارات السامية"، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية، المجلد٢، العدد١، بابل-٢٠١٢، ص٣٦٢وما بعدها.

وأنتصاراتهم بخط مسماري ومن أهم نقوشهم نقش بهستون[1] وتخت جمشيد "برسيبوليس"[2]؛ ولغة الأفستا هي اللغة التي دون بها زرادشت كتابه الديني الأفستا أو الأبستاق وتتكون من ٤٤ حرف ويكتب من

(١).نقش بهستون: يقع على بعد ٣٠ ميلا من كرمنشاه على الطريق الرئيسالى خراسان ويبلغ أرتفاعه ٤٥٦م وتنقسم نقوشه الى قسمين أحدهما يتضمن صورا تمثل أنتصار الملك دارا وخضوع الملوك الأخرين له وثانيهما يتضمن نص التاريخي الذي نقش بالفارسية القديمة؛ العيلامية والأكدية فبالأضافة الى قيمته التاريخية فأن له قيمة لغوية في حل رموز الخط المسماري ينظربديع محمد: مدخل الى حضارة إيران قبل الأسلام، القاهرة –بدون تأريخ، ، ص٧٩-٨٠؛ وكان الأمبراطور قد أعد ترجمات آرامية للنص كانت قد أرسلت الى مناطق بعيدة وصلت الى جنوب مصر حيث عثر على كسر منها في ألفانتين كما أكتشفت أيضا نقوش آرامية من هذه الحقبة في مناطق شرقية بعيدة مثل أفغانستان ينظر ساكز: المصدر السابق، ص٢١٢؛ كما وصلت نقوش آرامية ترجع الى السنة الرابعة من حكم أحشويرش ٤٨٢ق.م كما وجدت وثائق من البردي كتبت باللغة الآرامية كتبها يهود مصر وجدت في جزيرة الفيلة تعود لنفس الحقبة التاريخية مابين ٤٠٠-٥٠٠ق.م وقد ساهمت تلك الكشوف الآثرية في الكشف عن مراحل تطور اللغة والكتابة الآرامية ينظر رزقانة: المصدر السابق، ص٣٨٥؛ كما وجدت نقوش آرامية في واحة تيماء شمال الحجازينظر عدنان: المصدر السابق، ص١١؛ ، ص١٤٥-١٤٦.Vesta.S.C ، Sarah.S، Vol1P12

(٢).برسيبوليس تخت جمشيد حاليا عاصمة الملوك الأخمينيين كانت تضم مجموعة من القصور الملكية لأدارة الدولة عاش الملوك في هذه القصور تحت حماية الألف الخالدين الذين يشكلون الحرس الملكي الخاص ينظر: أمهز: المصدر السابق، ص٣٠٤.

اليمين الى الشمال[3] . والمسألة المهمة هناأن أصل الكتابة البهلوية جاءت من تبسيط العلامات المقطعية المسمارية العراقية الكثيرة والمعقدة وتم أختزالها من ٣٠٠ علامة الى ٣٦ علامة وظلت تتطور حتى صارت حروفًا أشتمل عليها هجاؤهم المسماري[4] كما كانوا يكتبون اللغة الفارسية بالخط الآرامي فأحتفظت لغتهم المسمارية الفارسية ببعض العلامات الآرامية وقد أدى كتابة الفرس بهذه العلامات الى نشأة ما يسمى بالكتابة البهلوية فمن بين ثلاثون الف لوحة التي عثر عليها في برسيبولس لايوجد واحدة منها مكتوبة باللغة الفارسية فأغلبها كتبت باللغة العيلامية وباللغة الآرامية[5].ومما يؤكد على قوتها ومصداقية تداولها مواظبة الولاة الفرس وحكام الأقاليم وأمراء القبائل على ضرب عملتهم في آسيا الصغرى بها والتي حملت نقوش

(٣). عبد المنعم: المصدر السابق، ص١٢– ١٣وللمزيد من التفاصيل عن الديانة الزرادشتية ينظرعبد الله مبلغي العباداني: تأريخ تأريخ الديانة الزرادشتية، ترجمة وريا قانع، تعريب عبد الستار قاسم كلهور، ط١، دهوك-٢٠١١؛ حسن المازوني: "الزرادشتية بوصفها تعبيرا عقائديا وفكريا للشرق القديم "ضمن كتاب حضارات الشرق القديم بين علم الآثار وحفريات الأبداع، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالدار البيضاء، الدار البيضاء-٢٠١٦ص١٦١وما بعدها.

(٤). رزقانة وآخرون: المرجع السابق ص٤٢٩؛ محمد: المصدر السابق، ص٧٧.

(٥).نبيل مروان: تأريخ الشرق الأدنى، منشورات جامعة عين شمس، القاهرة-٢٠٠٦، ج٢، ص١٠٢.

آرامية الى جانب اليونانية [1] وتدل بعض النقوش التي عثر عليها هناك على وجود عبادات جزرية –إيرانية مختلطة تعكس مديات التأثير الآرامي في مناطق غير آهلة بالعناصر الجزرية .[2]

وعلى عهد الأسكندر المقدوني ظلت اللغة الآرامية اللغة الدولية المساعدة للمنطقة الشرق الأدنى برمتها وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حين بدأت اللغة الأغريقية التي غدت اللغة الرسمية ولغة الطبقة العليا تزاحم الآرامية بل وتحل محلها في بعض الأماكن بعد أن كانت اللغة الرسمية على عهد الأخمينيين.[3]أما على عهد الأمبراطورية البارثية "الأشكانية": فخلال الحقبة الممتدة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي كان على طول طريق الحريرأربع أمبراطوريات كبرى هي روما؛ بارثيا؛ كوشان[4] وأسرة هان الصينية حيث جعل طريق الحرير هذه الحضارات تتبادل وتتأثر بعضها بالبعض وكان لأيران مكانة مهمةعلى طريق الحرير نظرا لموقعها بين االهند والصين من جهة والبلدان الغربية من جهة أخرى فهناك العديد من الأشارات التي ذكرها المؤرخون الصينيون الى بعثات التبشير[5] بالبوذية التي أنتشرت في بلدان الشرق الأدنى القديم بل وصلت الى شمال إفريقيا فالى جانب بعثات التبشير الرسمية التي أرسلها أمبراطور الهندالشمالية أشوكا عام ٢٥٠ق.م وصلت بعثاته التبشيرية الى كل من سيلان؛ نيبال؛ تركستانفارس وما جاورها من بلاد آسيا الوسطى والى الشام التي كان يحكمها في ذلك الوقت خلفاء الأسكندر المقدوني وصولا الى اليونان[6] كما كانت هناك بعثات ترسل من قبل المؤسسات الدينية

---

(١).عدنان: المصدر السابق، ص١٠٩؛ محمد: المصدر السابق، ص٧٧..

(٢).بروكلمان: المصدر السابق، صص٢٣؛ الزبيري: المصدر السابق، ص٦٣-٦٤.

(٣).ساكز: قوة آشور المصدر السابق، ص٢١٢؛ هوما كاتوزيان: الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحدبثة، ط١، جاول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان-٢٠١٤، ص٥٦.

(٤).مملكة كوشان: سيطرت على وادي السند وكابل والبنجاب وأصبحت بفضل ثروات الهند وغناها وسيطرتها على الطرق التجارية التي تربط الصين والهند بالغرب والتي تمر بمناطق نفوذها وكانت أحدى العوامل القوية التي سببت في تدهور الدولة الفرثية: .سامي سعيد الأحمد؛ رضا جواد =

= الهاشمي: تأريخ الشرق الأدنى القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد-بدون تأريخ، ص١٤٧.

(٥).يعد الدين من أقوى العوامل وأعمقها تأثيراً في اللغة فالدين سواء أكان سماويًا؛ وثنيًا؛ متعدداًأوموحداً يؤثر في لغة الأمة التي يؤمن بها ويطبعها بطابع معين نلمحه في ألفاظها وتراكيبها ولغة الزهاد والرهبان خيردليل على أثر الدين الواضح في تطور اللغة ينظر حلمي خليل: المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الأسلام، ط٢.دار النهضة العربية، بيروت-١٩٨٥، ص٣٤-ص٣٦.

(٦). عبد الله مصطفى نومسك: البوذية تأريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، ط١، مكتبة أضواء السلف، المملكة العربية السعودية -١٩٩٩، ص٣٥٩-٣٦٠.

البوذية[1] فضلا عن السفارات التي جاءت الى إيران للمرة الأولى في عهد مهرداد الثاني "١٢٠-٨٨ق.م"كما أرسل القائد الصيني باجاأو الى إيران وبلاد الروم سفير يدعى كان يينكك وقد أتيحت له الفرصة التنقل في العديد من المدن منها صددروازه"المائة بوابة"وهمدان حتى بابل وكان يطمح السفر من الخليج العربي حتى خليج العقبة عن طريق البحر ولكنه أنصرف عن ذلك والذي يبدو أن الدولة البارثية لم تكن ترغب في أن يعرف الصينيون الطرق البحرية وبعد فترة قدم السفير للمرة الثانية لأن الرومان كانوا يطمحون أن يتاجروا مع الصين عن طريق أيران لكن البارثيين كانوا يمانعون ويريدون أن تكون تجارة طريق الحرير بواسطتهم ولهذا نجدامبراطور الروم مارك أرل أنطونيو يرسل البضائع عام ١٦٦م كعظام الفيلة والسلاحف الى الصين عن طريق إيران فكان البارثيون حريصون على الحفاظ على موقع الترانزيت والجمارك التي يحصلون من خلالها على الواردات المالية المهمة [2] والمسألة الجوهرية المهمة والتي لها علاقة مباشرة بموضوع بحثنا أن أيران البارثية كانت تستخدم الخط الآرامي "السرياني" [3]كما ودخلت العديد من المفردات اللغوية الآرامية في النصوص البهلوية وهناك دليلان على ذلك: الأول: أن النقود البارثية التي كتبت عليها كلمات بهلوية بخط آرامي "مثل نقود مهرداد الرابع

---

(١).عبد المنعم النمر: تأريخ الأسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت-١٩٨١، ص٨١.

(٢).بيرنا: المصدر السابق، ص٣١٣-٣١٤.جدير بالذكر أن البوذيون يتسبون الى بوذا الذي ولد عام ٤٨٥ق.م وأسمه الحقيقي سيد هارتاجوتا وأصبح فيما بعد يعرف بوذا والتي تعني اليقظ ينظر ينظر: سو هاميلتون: الفلسفة الهندية، ترجمة صفية =

= مختار، مراجعة هبة عبد العزيز غانم، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-٢٠١٦، ، ص٤٩

(٣).عندما أتخذ المسيحيون الذين تعود أصولهم الى أصول آرامية اللهجة الرهوية جاعلين إياه لغة الدين والثقافة صاروا يعرفون بالسريان أو السوريين ولغتهم باللغة السريانية مبدلين تسميتهم الآرامية التي أصبحت لديهم تسمية غير محببة لأقترانها بالعصر الوثني وأصبحت السريانية لغة إقليم الرها "أديسا"وصارت لغة الكنائس المسيحية المتعددة فس سوريا ولبنان وشمال العراقوظلت في الأستعمال من القرنالثالث الى القرن الثالث عشر الميلادي عندما حلت محلها اللغة العربية ينظر: باقر: مقدمة، ج٢، ص٣١١؛ رزقانة: المصدر السابق، ص٣٨٥.والتسمية السريانية كثيرا ما ترد في نصوص التوراة اليونانية والمعروفة بأسم الترجمة السبعينية للعهد القديم عندمل ترجمت التوراة من الآرامية الى اليونانية من قبل ٧٠-٧٢ كاهنا ورجل دين يهودي في حدود عام ٢٧٠ق.م ولا تزال مستعملة في الكنيسة الشرقية وفي نسخة التورة اللاتينية التي وضعها القديس جيروم في القرن الرابع الميلادي وهي مستعملة عند الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ينظرباقر: مقدمة، ج٢، ص٣١١هامش رقم ٣؛ سعاد الكتبية: "قراءة في الترجمة السبعينة للعهد العتيق "ضمن كتاب مدونات النصوص القديمة: أعمال المستشرقين والأركيولوجين، تنسيق أحمد شحلان، منشورات كلية الآداب والعلوم والأنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، الدار البيضاء-٢٠٠٨.

وبلاش الأول والثالث والرابع والخامس وأردوان الخامس وغيرها". الثاني: أكتشاف ثلاث نسخ خطية مكتوبة في أورامان اكتشفت عام ١٩٠٩ نسختان منها كتبتا بخط يوناني [١] والثالثة كتبت باللغة البهلوية وبخط آرامي والنسخ الثلاثة كتبت على جلود الغزال. ويعد عهد الساسانيين من العهود التي تميزت بالتعايش بين مختلف الديانات واللغات والثقافات "فارسية؛ يونانية وآرامية "وكثرة النتاج الأدبي والديني الذي فقد معظمه وقد ساد الخلط مابين اللغة البهلوية وهي لهجة الجزء الشمال الغربي من إيران البارثيين"الفرثيين"وما بين اللغة الفارسية الوسطى وتعرف به لغة أقليم فارس جنوب غرب إيران [٢] وهي لغة الساسانيين"٢٢٦-٦٥٢م" كما أنها تعتبر صلة وصل مع الفارسية القديمة "لغة الأخمنيين" [٣]. وكانت تكتب بخط مشتق من أصل آرامي والذي يزيدها تعقيدا الأستخدام الكبير للأحرف المصورة فالمرجح أن نسبة قليلة فقط من الناس هم الذين يتقنوها [٤]، كما أحتوت على كلمات عديدة من اللغة الآرامية كانت تنطق بالبهلوية [٥] وهو ما يسمى بالهزوارش [٦] وظلت اللغة الآرامية "السريانية" مستخدمة في أيران طيلة العهد الساسانيين من قبل المسيحيين الذين كانوا يقيمون في أيران. [٧] وتحديدا في مناطق غرب إيران والمسيحية كديانة دخلت البلاد منذ العهد البارثي [٨]. وكان ماني [٩] الذي أعلن عن مذهبه

(١). ظلت اللغة الأغريقية متداولة في المدن الأغريقية الأسيوية في نقوشهم وعملاتهم المعدنية ينظر: كاتوزيان: المصدر السابق، ص٦٣.

(٢).عبد المنعم: المصدر السابق، ص١٦؛ كاتوزيان: المصدر السابق، ص٧٢.

(٣).يمتد تأريخ اللغة الفارسية الوسطى من نهاية الدولة الأخمينية الى بداية الفتح العربي الأسلامي أي أنها أستغرقت عشرة قرون من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن السابع الميلادي؛ فؤاد ساعة: "الفارسية الوسطى من خلال أعمال المستشرقين"ضمن كتاب مدونات النصوص القديمة: أعمال المستشرقين والأركيولوجين، جامعة محمد الخامس منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالرباط، ط١، الدار البيضاء - ٢٠٠٨، ص١٢.

(٤).كاتوزيان: المصدر السابق، ص٧٢.

(٥).الزبيري: المصدر السابق، ص٦٤.

(٦).عبد المنعم: المصدر السابق، ص١٦؛ كاتوزيان: المصدر السابق، ص٧٢.

(٧).آرثر كريستسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-١٩٨٢، ص٣٤؛ أياد محمد حسين: "العوامل المؤثرة في تطور اللغة الفارسية، مجلة مركز بابل الدراسات الحضارية والتاريخية، ص٢٧١-٢٧٢.

(٨).النمر: المصدر السابق، ص٣٩.؛ بيرنا: المصدر السابق، ص٤٢٠-٤٢١.

(٩). ولد ماني عام ٢١٦ م كان أبوه قد التحق بجماعة متنسكة في بابل حبث ترعرع هناك وأكتسب اللغة الآرامية وأعتبر أن مهمته تقديم توليفة من الزرادشتية؛ المسيحية والبوذية اللتان أستعارتا من الأفكار الغنوصية وأثرتا فيهما وتأثرتا بالهندوسية والبابلية وكانت هذه الأنتقائية هي التي جعلت الديانات الأخرى تعدها مجرد هرطقة ينظركاتوزيان: المصدر السابق، ص٨١؛ وقد أنتشرت الديانة المانوية في بابل ثم أنتقلت الى بلاد الشام وبلاد الأنباط ثم أنتشرت في مصر ومنها أنتقلت الى طرابلس وقرطاجنة كماراجت في بلاد الغال "فرنسا وأيطاليا وقد بقى =

عام ٢٢٨م نفسه يكتب ويؤلف باللغة الآرامية (السريانية) "وليس بالفارسية" ويعود له الفضل في أدخال أصلاح على الكتابة الفهلوية بأستعماله الأبجدية الآرامية في تدوين اللغة الأيرانية (١) وقد شجع أتباعه على الترجمة إذ كانوا يجدون فن الترجمة ومعظم أعماله الكثيرة التي أختفى جزء كبير منها كانت مكتوبة باللغة الآرامية والجدير بالذكر أن لماني أتباع ومريدون كثيرون في طيسفون؛ بابل؛ ميسين؛ الرها؛ سوسة أرمينية؛ الهند؛ الصين وغيرها من الأماكن (٢) التي تدل على أتساع أنتشار اللغة الآرامية .كما أن الخط البهلوي الذي شاع أستعماله في عهد الساسانيين كانت كتابته وقراءته فيها من الصعوبة الشيء الكثير لسببين: الأول: أن هذا الخط مقتبس من الخط الآرامي وعلى هذا الأساس لاتوجد علامة خاصة لأصوات اللغة الفارسية البهلوية في ذلك الوقت وأحيانا تدل العلامة على عدة أصوات .الثاني: شاع في هذا العصر أستعمال كلمات آرامية في الكتابة ولكنهم عند القراءة كانوا يستخدمون كلمات بهلوية بدلا منها فمثلا كانوا يكتبون كلمة "ملكا" باللغة الآرامية بمعنى ملك ولكنهم يقرأونها "شاه" وأيضا يكتبون "من" ويقرأونها "أز" وهذا النوع من الكتابة يسمى "هوزوارش" أو "زوارش" كما يذكر أبن المقفع ويصل عدد هذا النوع من الكلمات الآرامية التي أستعملت في اللغة البهلوية الى أكثر من ألف كلمة مما جعل قراءة وكتابة البهلوية فيها من الصعوبة الشيء الكثير (٣) .وقد أشار أبن النديم المتوفى عام ٣٨٥ه في كتابه الفهرست الذي كتبه في القرن الرابع للهجري الى أحد الخطوط الخاص بالملوك يتكاتب به ملوكهم يسمى "شاه دبيريه" وليس سائر الناس وممنوع على العامة تعلمه لأنه لاينبغي لأشخاص آخرين سوى الملوك أن يطلعوا على الأسرار ولم نستطيع الحصول على نماذج من هذا الخط لكن طريقة كتابة المنشورات إنما تكون على نفس النحو الذي يتحدثون به وليس لحروف هذا الخط نقط وتكتب بعض حروفه باللغة السريانية التي هي لغة البابليين ويسمونها البارسية وعددها ٣٣ حرف .(٤) وظهر خط جديد هو خط الأفستائي المتطور والمأخوذ من البهلوي ويكتب من

=

لهذه الديانة حتى عصر الخلفاء العباسيين ينظر بيرنا: المصدر السابق، ص٤١٧-٤١٨؛ ويعود سبب سرعة أنتشار مذهبه الى بساطة تعاليمه.

(١). الأحمد؛ الهاشمي: المصدر السابق، ص١٥٧؛ بيرنا: المصدر السابق، ص٤١٧؛ الزبيري: المصدر السابق، ص٦٤.

(٢).محمد عبد القادر محمد: إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-١٩٨٢، ص١٧٢-١٧٣.

(٣).بيرنا: المصدر السابق، ص٤٣٢.

(٤).عبد الرفيع حقيقت: دور الأيرانيين في تأريخ الحضارة العالمية لمحات ومقتطفات، ترجمة علاء عبد العزيز السباعي ومراجعة محمد نور الدين عبد المنعم، ط١ المركز القومي للترجمة، القاهرة-٢٠١٠، ص٤٣.

اليسار الى اليمين ولكنه الف بائي أي أن به علامة لكل صوت من الأصوات المتحركة والساكنة والثابت أن هذا الخط أخترع في القرن السادس الميلادي وسمي بالخط الأفستائي نظراً لأن الأفستا كتبت به .(١)وعرفت عدة لغات من المجموعة الشرقية ضمن اللغات الأيرانية الوسطى كالصغدية؛ الخوارزمية والختانية وغيرها وأن جل الخطوط التي كتبت بها اللغات الأيرانية الوسطى كانت مشتقة من الخط الآرامي .

الأرمن: (٢) اللغة الأرمنية فرع مستقل من عائلة اللغات الهندوأوربية وقد أخترعت أبجديتهم المكونة من ٣٦ حرف من قبل مسروب ماشطوتس عام ٤٠٤م وما كان بوسعه أن يصمم الأبجدية الآرمنية بدون النص الآرامي (٣) ولاشك أن اللغة الأرمنية تسبق هذا التاريخ بقرون عديدة فقد كانت لغة مكتملة تتميز بالقواعد الواضحة وتضم قاموساً من الكلمات كانت لها القدرة على التعبير على مختلف المعاني وأدقها(٤)نقل الآراميون خطهم الى الأرمن فأخذ الأرمن الأبجدية الآرامية وعملوا على تطوير خطهم الذي ترجع أصوله الى الأصول آرامية (٥)وقد تم العثور في شمال الأناضول على نقوش متنوعة باللغات اليونانية؛ الليديةو الليسية مصحوبة بترجمة الى الآرامية وخاصة منقوشات القوانين التذكارية (٦)

الهنود: دخلت الكتابة الآرامية الى الهند عن طريق التجار الآراميين في حدود القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد (٧) وعندما أصبحت الهند ضمن الولايات التابعة للدولة الأخمينية وكانت تدفع الأتاوات المترتبة عليها وأشترك العديد منهم في الجيش الذي قاده دارا

---

(١).بيرنا: المصدر السابق، ص٤٤١.

(٢). الأرمن: مجموعة من الأقوام الهندوأوربية التي سكنت شم البلاد آشور بالقرب من بحيرة وان وأورمية وقد عرفت تسميتهم بالنصوص الآشورية القديمة بأسم "أورارتو"وعرفت عند اليهود أرارط يوتمكنوا من تأسيس مملكة لهم في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد ينظر باقر: مقدمة، ج٢، ص٤٠٧. ولقد امتد تأثير حضارة الرافدين إلى بلاد اورارتو حيث عثر في جبال ارمينيا على كتابات كان ملوك اورارتو قد كتبوها باللغة الأكدية والخط المسماري إلى جانب لغة المنطقة المحلية. أما بالنسبة إلى الأقوام الحورية وهي أقوام هنداوربية أسست لها مملكة واسعة تمتد من بحيرة وان إلى شمال سوريا وشمال وادي الرافدين عرفت بالمملكة الميتانية فقد تأثروا إلى حد بعيد بالكتابة المسمارية وباللغة الأكدية خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشرقبل الميلاد

Millard ، A.R.، Word in " Infancy of Alphabet ", Archaeology، Vol.17، No.3، p364.

(٣). نيقولاس أوستلر: إمبراطوريات الكلمة تأريخ للغات في العالم، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت-٢٠١١، ص١٤٠.

(٤). فاروجانكازانجيان: مختارات من الشعر الأرمني عبرالعصور، مراجعة محمد أبراهيم أبوسنة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-٢٠٠١، ص٧؛ جباغ قابلو: "كتابات آرامية من جمهورية جورجيا"، دراسات تأريخية، العدد ٦٣-٦٤، دمشق-١٩٩٨، ص٩١.

(٥).باقر: مقدمة، ج٢، ص٣١٠؛ رزقانة: المصدر السابق، ص٣٨٤.

(٦). أوستلر: المرجع السابق، ص١٣٤.

(٧).باقر: مقدمة، ج٢، ص٣٨٠.

بأتجاه اليونان وهذا يعني أن الهند حالها كحال باقي الولايات والأقاليم كانت اللغة الرسمية التي تستخدم على الصعيد الرسمي اللغة الآرامية وزاد من عمق التواصل الثقافي والتلاقح مع باقي بلدان طريق الحرير غزو الأسكندر المقدوني ٣٢٧ق.م والمصاهرات والمبادلات الدبلوماسية بين حكام الهند في الشمال والسلوقيين خلفاء الأسكندر المقدوني(١) عمقت من عمق التواصل الحضاري؛ ونقل الأغريق الكثير من الأساطير والقصص التي سمعوها في البلاط الفارسي الى بلدهم كما بدأ الهنود بالأهتمام بحضارة طريق الحرير ويخبرنا أرسطو عن فلاسفة هنود قدموا الى أثينا لمحاورة سقراط ومنا قشته في المشاكل الفلسفية التي يعالجها الفكر الفلسفي اليوناني (٢) كل ذلك كان له تأثيره العميق في نقل الحضارات الشرقية القديمة ومن ضمنها اللغة والخط الآرامي والذي سوف يكون له الدور في تحفيز تطوير الكتابة السنسكريتية .ففي حوالي عام ٢٦٠ ق.م عندما غزا الملك أشوكا مملكة كالينغا الشرقية كان هذا الغزو هو أقصى حد للتوسع والأمتداد في أمبراطورية الهند وهو حد لم يتم تجاوزه طيلة الفي عام وقد كتب أشوكا عن تجربته الى جميع أنحاء الأمبراطورية بثلاث لغات الماغادية؛ الآرامية واليونانية (٣).كما أن تغلغل اللغة الآرامية على الجانب الأخر من الأمبراطورية الهندية عن طريق ثلاثة نصوص دعائية تعود للأمبراطور أشوكا عندما كانت اللغة اليونانية هي المنافسة لالآرامية ومع ذلك فقد رأى الأمبراطور أن يدون بالآرامية(٤)كان هناك لغتان مستخدمتان في التراث الهندي وهما السنسكريتية والبالية وتعود لغتهم كما أشرنا سابقاً الى الأقوام الآرية التي جاءت من وسط أوراسيا الى شمال الهند عن طريق باكستان منذ مئات السنوات قبل الميلاد وقد نظمت هذه اللغة في وقت لاحق في شكلها الكلاسيكي على يد نحوي هندي يدعى بانيني (٥)فالسنسكريتة هي من اللغات الهندية آرية القديمة والمدون بها معظم المواد الفلسفية الهندية ثم ظهرت مجموعة الهندوآرية الوسطى والبالية واحدة من هذه اللغات والمدون بها الكثير من النصوص البوذية الأولية(٦) وكلتا اللغتان

(١). أوستلر: المصدر السابق، ص٢٧٤.

(٢).النمر: المصدر السابق، ص٣٨-٣٩

(٣).أوستلر: المرجع السابق، ص٢٨٤.

(٤).أوستلر: المرجع السابق، ص١٣٤؛ كما عثر على ثلاثة نصوص آرامية تم أكتشافها في منطقة قندهار؛ لاغمان ولامباكا شرقي كابول ينظر المصدرالسابق، ص١٣٥.

(٥).ج. ن.جارات: تراث الهند، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، مراجعة عبد الله عبد الرزاق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-٢٠٠٥، ص٤٠.وبانيني قد كتب كتابا من أكثر كتب القواعد اللغوية شمولا وتعقيدا في تأريخ اللغويات ويضم الكتاب والملاحق كل ما يتعلق بعلم الدلالات اللغوية وقواعد تركيب الجملة؛ الأشتقاقات؛ الأسماء؛ الأفعال وكانت اللغة التي وصفتها القواعد اللغوية التي والعرب ضعها بانيني هي السنسكريتية ينظر هاميلتون: المصدر السابق، ص٦٦.

(٦).تعد البالية واحدة من اللهجات التي تفرعت عن السنسكريتية وكان يتكلم بها سكان الهند الشمالية وبخاصة =

صوتيتان تعتمدان على الأبجدية نفسها وكثير من الحروف الإضافية تمثل بإضافة ما يعرف بعلامات التشكيل فمثلا بعض الحروف تختلف طريقة نطقها بإختلاف علامة التشكل ونجدفي بعض الأحيان أن الأعمال الترجمة تنقل هذه الكلمات وفقا لصوت الحرف لا لشكله(١) فالآراميون نقلوا أبجديتهم الى الهند وبدأت اللغة السنسكريتة تكتب بالحروف الآرامية(٢) والخط والسنسكريتي "يعد من الخطوط التي تعود أصولها الى الأصول الارامية(٣) .وقد أنتقلت اللغة مع الوعاظ المسيحيين من المذهب النسطوري والذين حكم عليهم بالهرطقة فتم نفيهم من إديسا بأمر الأمبراطور ي عام ٤٨٩م حملوا معهم السريانية الى بلاد فارس فكانت قاعدتهم التالية على طريق الحرير في نصيبين ولم يتوقفوا هناك بل تابعوا مسيرتهم الى الهند حيث أقاموا أسقفية في كالايانا قلرب بومبي ومجموعة من الأديرة على مبعدة الى الجنوب وخاصة في كيرالا فضموا قوتهم الى جماعة مسيحي القديس توماس وكان من الناطقين بالآرامية وقد أستشهد في الهند قرب مدراس وعندما أعيد أكتشاف النساطرة على أيدي الأوربيين في القرن التاسع عشر كانوا لايزالون يملكون أناجيل ومخطوطات دينية بالسريانية. (٤)

الصغديون: هم رعايا مملكة كوشان في سمرقند وكانوا من الكثرة بحيث غدت لغتهم الصغدية هي الغة المشتركة في النصف الشرقي من طريق الحرير(٥) فأستعمل هذا الخط في آسيا الوسطى وهو مقتبس من الخط الآرامي وقد أنتشر في جميع آسيا الوسطى وبدل بالخط الأويغوري وكان الخط الأخير مستخدما في كتابة اللغة التركية ثم بدل بخط المغول والمنجو.(٦)

الصينيون: وعثر في وسط آسيا على نقوش حديثة تدل على توغل لآراميون نحو الشرق في تركستان ببلاد الصين وأستمرار أعتمادهم لهذا القلم ، (٧)ونقل الكهنة والحجاج والطلاب البوذيون(٨) الأبجدية السنسكريتة

=

الطبقات الفقيرة وقد أنتشرت في أنحاء ربوع شمال الهند أيام أزدهار البوذية ونالت إعجاب الناس في الأقطار الجنو بية الى سيلان وصارت منافسة للسنسكريتية وأصبحت في عصر أشوكا"٢٧٣-٢٣٢ق.م"لغة الدولة والتبشير للديانة البوذية ينظر: نومسك: المرجع السابق، ص٢٨-٢٩.

(١).المصدر نفسه، ص١١وللمزيد من التفاصيل عن اللغات الهندية ينظر جارات: المصدر السابق، ص٣٧-٥٠؛ غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة-٢٠١٢، ص٣٧٣-٣٧٧.

(٢).رزقانة: المصدر السابق، ص٣٨٤.

(٣).باقر: المصدر السابق، ج٢، ص٣١٠.

(٤).أوستلر: المصدر السابق، ص١٤٠.

(٥).أوستلر: المصدر السابق، ص١٨١.

(٦).بيرنا: المصدر السابق، ص٤٤١.

(٧).الزبيري: المصدر السابق، ص٦٤.

(٨).للأستزادة عن الحجاج والطلاب الصينيون ينظر أوستلر: المصدر السابق، ص٢٧٧؛ يوهان أيلغركوغ: البوذية والأسلام على طريق الحرير، المركز الأكاديمي للأبحاث، ط١، بيروت-٢٠١٦؛ وعثر في أفغانستان على الكثير من الآثار البوذية وأن نوبهاربلخ الذي أعتبره بعض المؤرخين العرب بيت النار كان

=

"المشتقة من الأبجدية الآرامية من الهند الى قلب الصين والى كوريا واليابان[1] وهكذا يكون الخط الآرامي قد أنتقل على أيدي الآراميين الى جميع نصف العالم الشرقي في حين أن اليونانيين نشروا الخط نفسه الى نصف العالم الغربي [2] وتابع المبشرون النساطرة رحلاتهم شرقا من بلاد فارس على طول طريق الحرير الى داخل آسيا الوسطى فوصلوافي آخر المطاف الى قراقورم في منغوليا والمدن الشمالية من الصين وتمكن المبشرون من النساطرة في نشر ديانتهم في الصين وتتحدث الأكتشافات الأثرية اليوم عن نقوش "سي كان فو"كنقوش تعتمد الصينية والآراميةوهناك عمود حجري يحمل نقشا ثنائيا باللغة السريانية والصينية أقيم في عام ٧٨١م لأحياء ذكرى الراهب آلوبين في العاصمة الصينية تشانغان في عام ٦٣٥م وهو النشاط التبشيري الذي ظلت الآرامية أداته ووسيلته الى زمن غير بعيد عن العصور الوسطى.[3]

اليهود: وأحتلت الآرامية مكانة اللغة اليهودية في فلسطين وأصبحت كلغة محلية مقدسة وكلغة دين وعلم بل بدأت تأخذ الصفة الدولية وتضمن العهد القديم بعض الفقرات باللغة الآرامية ونجد زيادة آرامية على النص الخاص بارميا "١١: ١٠"وأضافة آرامية على كلمتين يهوديتين في سفر التكوين "٤٧: ٣١"وأجزاء كثيرة من سفر عزرا "٦: ١٨؛ ٧: ١٢-٢٦"وحوالي نصف سفر دانيال "٢: ٤؛ ٧: ٢٨"وربما قبل ذلك وهناك أحتمال أنه كتب بالآرامية [4]كما أن الخط اليهودي المسمى المربع والذي تطبع به كتب العهد القديم مشتق من الخط الآرامي الذي أقتبسه اليهود من الآراميين [5]، كما أن بعض فصول سفر عزرا دونت بالغة الآرامية في هذا العصر. [6] بل سترقى اللغة الآرامية لاحقا الى درجة القداسة في يهودية العصر التلمودي.[7] جدير بالذكر انه عثر في سقارة بمصر على

=

معبدا بوذيا لأن كلمة نوبهار الفارسية مأخوذة من نووهار بمعنى المعبد الجديد وتؤيد الكتابات الصينية أن مثل هذه المعابد كان موجودا في الطريق الذي كان يقطعه الزوار الصينيون من بلاد الصين الغربية الى الهند وهناك كتابات للرحالة الصينيين الذين ذهبوا الى بلخ في أواخر العصر الساساني ورؤا النوبهار ينظر: بيرنا: المصدر السابق، ص٤٢٢-٤٢٣.

(١). نومسك: المصدر السابق، ص٣٦٧؛ أوستلر: المصدر السابق: المصدر السابق، ص١٨١-١٨٢.

(٢).باقر: المصدر السابق، ج٢، ص٣١٠؛ رزقانة: المصدر السابق، ص٣٨٤..

(٣).أوستلر: المصدر السابق، ص١٤٢.

(٤).الدسوقي: المصدر السابق، ص١٥٤.

(٥).باقر: المصدر السابق، ج٢، ص٣١٠

(٦).عدنان: المصدر السابق، ص١١.

(٧).الزبيري: المصدر السابق، ص٦٢؛ تجدر الأشارة هنا أن الباحثين تمكنوا من العثور على جزء من مزامير النبي داود المدونة باللغة الفارسية الوسطى المترجمة عن الأصل السرياني "الآرامي"وتعود الى القرن السادس الميلادي وتمت دراستها الى جانب نصوص أخرى كتبت على ورق البردي ربما تعود الى الحقبة التي غز فيها الفرس مصر.

نصوص هي عبارة عن مجموعة من البرديات وهي رسائل كتبت باللغة الآرامية كان من ضمنها طلب حاكم ادون في جنوب فلسطين المساعدة العسكرية من نيخو فرعون مصر ضد تقد جيش نبوخذ نصر وتؤرخ هذه النصوص بعام ٦٠٣ أو ٦٠٢ ق.م.(١)حيث نقرأ"سيدي الملك (فرعون)أنا عبدك أشكلون ليحفظ سيد السماء والأرض الأله بعل ، عرش سيدي الفرعون لقد كتبت الى سيدي أخبره أن جيوش ملك بابل بدأت بالزحف وليعلم سيدي الملك(فرعون)أن عبده لا يستطيع الوقوف في وجه ملك بابل وحده هل يمكن أن يتخلى سيدي عني وأنا الموالي والخادم وأذا ما أستطاع ملك بابل القضاء على ملك سيدي فستضيع البلاد كلها "ويتبين لنا من هذه الرسالة أن هذا الحاكم لم يستخدم لغة بلاده الفينقية أو أية لهجة من اللهجات الشائعة في فلسطين أنذاك مفضلا اللغة الآرامية الأمر الذي يشير الى وجود كتاب آراميين في بلاط هذا الحاكم وكذلك في بلاط الفرعون المصري الأمر الذي يؤكد أن اللغة الآرامية قد أصبحت اللغة الدبلوماسية في الشرق الأدنى القديم .(٢)

المسيحيين: وتكلم الناس في فلسطين بالآرامية وحدها على أيام سيدنا المسيح عليهالسلام فكانت لغة السيد المسيح"عيسى عليه السلام "ورسله وأتباعه وكتب بها الأنجيل (٣) وخير دليل على ذلك الكلمات المحفوظة من الأصل الآرامي في الأنجيل "أنجيل مرقص ٤١: ٥؛ ٣٤: ٧"وشرحت الأسفار المقدسة في المجاميع باللغة الآرامية وأصبحت اللغة الرسمية للكنيسة السريانية (٤)وكتبت بها بعض الصلوات وأول أشارة للمسيحية وردت في نقوش آرامية كتبت بحروف لاتينية على جدران كنيسة مدينة بومبي تعود الى ما قبل عام ٧٩م وأقدم الأناشيد أنشودة آرامية تسمى أنشودة قديش (٥) "المقدس"تشبه الصلاة المسيحية المعروفة بالصلاة الربانية في بعض عباراتها وهي أقدم منها وتبدأ بعبارة "ليتمجد ويتقدس أسمه العظيم"(٦)وأسطورة أحيقار الواسعة الأنتشار وتحوي بعض الحكم العراقية القديمة ولكنها كتبت باللغة الآرامية في حدود القرن

(١). ينظر:
Porten، B. , “The Identity of King of Adon” , B.A , Vol. 44، No. 1 ,1981، pp. 36-52; Shea، W.H. , “Adon’s Letters and the Babylonian Chronicle” , BASOR ,No. 223 ,1976، pp. 61-63; ANET، p. 491-492; Johnson: opcit ,p. 74

(2) Ginsberg، H.L. , "Aramaic Letters"In ANET , P.491-492

(٣).باقر المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٩.

(٤). خالد الدسوقي: دراسات في شعوب الشرق القديم، مكتبتي، القاهرة–١٩٨٢، ص١٥٥.

(٥) رزقانة: المصدر السابق، ص٣٨٣.

(٦) الدسوقي: المرجع السابق، ص١٥٦.

السابع أو ما بعده [1] ثم تفرعت الى مجموعتين شرقية في وادي الفرات ومنها السريانية والمندائية وغربية ومنها آرامية العهد القديم والأنجيل والترجوم واللهجات الآرامية في مملكة شمأل "تمثل أطلالها الآن في سنجرلي بين أنطاكية ومرعش "وفي حماة؛ تدمر والأنباط [2] وغيرها. وتكلم بها الطائفة المندائية وهم طائفة دينية باطنية "غنوصية" في جهات الفرات من القرن السابع الى التاسع الميلادي بالخط واللغة الآرامية .

العرب: وقد توغلت الكتابة الآرامية الى بلاد العرب نفسها فالعرب الشماليين أخذوا خطهم من الخط النبطي الذي هو شكل من أشكال الخط الآرامي، والأنباط مجموعة من قبائل الجزرية العربية البدوية أغاروا على مناطق الآراميين في بلاد الشام ومناطقهم تقع الى الشمال من الحجاز [3] وتمتد شمالا حتى الحدود السورية الجنوبية وأحتكوا بهم ونقلوا الكتابةالآرامية عنهم وبدؤا يسجلون ويكتبون لهجتهم العربية بالأبجدية الآرامية [4] وكانت كتابتهم تمثل آرامية القرن الأول قبل الميلادوتمتد الى القرن الثالث الميلادي [5] وكانت الحروف التي كتبوا بها أقرب الى الخربشة منها الى الكتابة بسبب صعوبة المحاكاة والتقليد كما كتبوها بشيء من الأختلاف يكاد لا يطابق الأصل كل المطابقة ثم جاء بعدهم جيل آخر من النبط وتعلم هذه الخربشة في شيء من الصعوبة وجدوها أيضا في تقليدهم فكتبت الحروف أكثر خربشة من الأولى وأبعد قليلا منها عن الأصل وهذا طبيعي لأن المنقول لا يشبه الأصل ولايطابقه تمام المطابقة بل يختلف عنه وخصوصا إذ كان المحاكي بعيد العهد بالأصل. فنحن أمام وثائق تأريخية للغة التي نسميها حاليا باللغة العربية القديمة أو الكلاسيكية وهي تعكس سواء على صعيد الكتابة أم صعيد المضامين حضورا آراميا لقد كان لتأسيس دولة الأنباط وموقعها الأستراتيجي الأثر البالغ في تعزيز أعتماد اللغة الآرامية في المناطق العربية كلغة ذات أهمية ضرورية في عملية تحقيق التواصل مع الشعوب المختلفة وسقوط دولتهم عام ١٠٦م لم يؤدي على الرغم من محاربة

---

(١) للأستزادة عن أحيقارينظر: أنيس فريحة: أحيقا ر حكيم من الشرق الأدنى القديم، سلسلة العلوم الشرقية، بيروت-١٩٦٢.

(٢).باقر: المصدر السابق، ج٢، ص٣١١؛ رزقانة: المصدر السابق، ص٣٨٥.

(٣).العرب من أهل الحجاز كانوا قبل الأسلام أمة بدوية لاتقتضي نمط معيشتهم معرفة الكتابة والقراءة وليس في آثارهم بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة والقراءة الا قبيل الأسلام مع أنهم كانوا محاطين شمالا وجنوبا بأمم ممدنة من العرب تركوا نقوشا كتابية كثيرة وأشهرهم كان الأنباط في الشمال الذين كتبوا بالخط النبطيوحمير باليمن الذين كتبوا بالخط المسند فلم يوجد فيهم من يقرأ ويكتب الإ بعد أن توجه قسم منهم الى بلاد الشام أو العراق فأقتبسمنهم الكتابة وعاد وهويكتب بالخط النبطي أو السرياني اللذين تولد منهما الخط
=

=
العربي ينظر: عبد الفتاح عباده: أنتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، القاهرة-١٩١٥، ص٧.

(٤).رزقانة: المصدرالسابق، ص٣٨٤.

(٥).الدسوقي: المصدر السابق، ص١٥٥.

الرومان الآرامية وسعيهم لفرض الأغريقية في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم الإ أن تعزز حضور أقوى للآرامية في الأوساط العربية أذ تمسك هؤلاء بتوظيف أوسع وأشمل للغة الآرامية(١)؛ وهكذا تطور خط وكتابة الأنباط من الأصل الآرامي وأصبح في القرن الثالث للميلاد الخط المألوف في لغة عرب الشمال(٢) وقد تعلمه عرب قريش من الأنباط في حوران أثناء رحلاتهم التجارية الى بلاد الشام (٣) كما عثر في شبه جزيرة سيناء على مايقرب من ثلاثة الآف رسم وفي الشمال أزدهرت مدينة تدمر أيام الرومان وظهرت فيها عدد كبيرمن الكتابات الآرامية التي يعود تأريخ الى نهاية القرن الأول الميلادي الى عام ٢٧٢م وهو عام أحتلال تدمر من قبل القائد الروماني أوريليانوس(٤) وبدأت المعالم الرئيسة للغة العربية تبدو واضحة في النقوش المتأخرة ويعتبر نقش النمارة الخاص بالأمير اللخمي أمرؤ القيس الذي عاش في الحيرة حوالي٣٢٨م الدليل النهائي على تبني الأبجدية الآرامية في لغة العرب القدامى(٥) وهي نفس الكتابة التي نقلها العرب وسجلوا بها لغتهم وهو الخط العربي الذي كتب به القرآن الكريم والسنة النبوية (٦)وتطور عنه الخط العربي الحديث (٧) وكان قد ظهر في نفس الوقت شقيق هذا الخط في الهند قديما وهذا الأتصال القديم يؤكد المصدر الذي أخذ منه الخطان وهو المصدر الآرامي(٨).

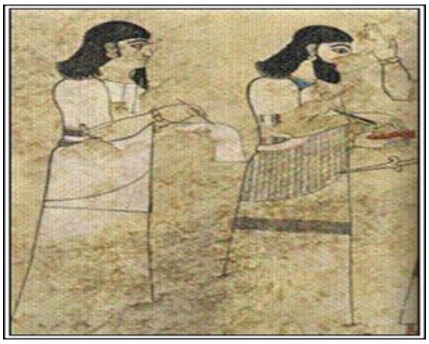

شكل رقم ١

منحوتة جدارية آشورية تعود الى عهد الملك الآشوري تيجلاتبليزر الثالث تبين فيها كاتبان أحدهما يكتب باللغة الأكدية والآخربالآرامية

(١).الزبيري: المصدر السابق، ص٦٧.

(٢).الدسوقي: المصدر السابق، ص١٥٥.

(٣).عباده: المصدر السابق، ص٨؛ للمزيد ينظر صالح بن أبراهيم الحسن: من النقوش الى الكتاب المخطوط، دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية-٢٠٠٣، ص٤٢-٤٣.

(٤).الدسوقي: المصدر السابق، ص١٥٥.

(٥).رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية دراسات في تأريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، بيروت-١٩٨١، ص١٢٢.

(٦). للأستزادة في المعلومات عن لغة قريش ينظر؛ مختار الغوث: لغة قريش، دار المعراج الدولية، الطبعة الأولى، الرياض-١٩٩٧.

(٧).باقر: المصدر السابق، ج٢، ص٣١٠؛ الحسن: المصدر السابق، ص٣٣ وما بعدها.

(٨). محمد محي الدين خان: "أضواء على الخط الغربي في باكستان "ضمن كتاب آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات ’منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالدار البيضاء، ط١، الدار البيضاء-٢٠٠٥، ص٢٠٢

شكل رقم ٢ يوضح التطور التاريخي للأبجدية في الشرق الأدنى

أسماء الحروف الآرامية السريانية:

الف =شراع (بل هو الثور)

بت =بيت

جيمل =أو جامل =جيمل يعني بعير

دالت =دالة أي باب

ها =كوة(هواء)

واو=مسمار أي وتد

زين=سلاح أي سيف

حط=يعني حائط

طط(طيت)= حية طوت نفسها

يود=يد

كاف =كف

لامد=منخاس

مم=ماء

نون =حوت أي سمكة

عين =عين

فا=فم

صاده=سهم

فوق، قف=عقدة (قحف الرأس)

ريش=رأس

شين==سن

تاو=علامة

نقلا عن جرجيس شلحت، لغة حلب السريانية ، حلب – دون تاريخ ، ص٤٣؛ ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، بيروت-١٩٨٠، ص١٥٠.

المصادر والمراجع:

-سامي سعيد الأحمد؛ رضا جواد الهاشمي: تأريخ الشرق الأدنى القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد –بدون تأريخ.

– سامي سعيد الأحمد: تأريخ اللغات الجزرية ضمن كتاب حضارات الوطن العربي أساساً للحضارة اليونانية، مطبعة إيلاف، بغداد-٢٠٠٣.

ن-يقولاس أوستلر: إمبراطوريات الكلمة تأريخ للغات في العالم، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت-٢٠١١.

– يوهان أيلغركوغ: البوذية والأسلام على طريق الحرير، المركز الأكاديمي للأبحاث، ط١، بيروت-٢٠١٦.

– طه باقر: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ط١'بغداد-١٩٥٦ج٢.

-كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، جامعة الرياض-١٩٧٧.

-حسن بيرنا: تأريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم؛ السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة -٢٠١٣

- هجيرة تمليكشت: " الوراقة الإسلامية "، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد الثالث، الجزائر-٢٠١٣.
- جيمس هنري برستد: أنتصار الحضارة تأريخ الشرق الأدنى، القاهرة-دون تأريخ.
- كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، جامعة الرياض-١٩٧٧.
- رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية دراسات في تأريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، بيروت-١٩٨١.
- صالح بن أبراهيم الحسن: من النقوش الى الكتاب المخطوط، دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية-٢٠٠٣.
- أياد محمد حسين: "العوامل المؤثرة في تطور اللغة الفارسية، مجلة مركز بابل الدراسات الحضارية والتاريخية.
- عبد الرفيع حقيقت: دور الأيرانيين في تأريخ الحضارة العالمية لمحات ومقتطفات، ترجمة علاء عبد العزيز السباعي ومراجعة محمد نور الدين عبد المنعم، ط١ المركز القومي للترجمة، القاهرة-٢٠١٠.
- محمود عباس حمودة: تأريخ الكتاب الإسلامي المخطوط، دار غريب للطباعة والنشر، الجزائر-١٩٩٤.
-علي فهمي خشيم: الأكدية العربية، تحقيق ناهد عبد الفتاح، مركز الحضارة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة-٢٠٠٥.
-محمد محي الدين خان: "أضواء على الخط الغربي في باكستان "ضمن كتاب آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات 'منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالدار البيضاء، ط١، الدار البيضاء-٢٠٠٥.
- حلمي خليل: المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الأسلام، ط٢.دار النهضة العربية، بيروت-١٩٨٥.
- مهوش أسدى خمامي: "التركيب والأشتقاق أمران أساسيان لتعايش اللغة مع الحضارة "ضمن كتاب اللغات والحضارات الشرقية نظر وتطبيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالرباط، ط١، الرباط-٢٠٠٥
- ج. ن.جارات: تراث الهند، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، مراجعة عبد الله عبد الرزاق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-٢٠٠٥.
- جورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان، دائرة الشؤون الثقافية وزارة الثقافة والأعلام، بغداد-١٩٨٥.
- علاء عبد الدائم: "الصراع اللغوي بين الحضارات السامية"، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية، المجلد٢، العدد١، بابل-٢٠١٢.
- خالد الدسوقي: دراسات في شعوب الشرق القديم، مكتبتي، القاهرة-١٩٨٢.
- نزهة الزبيري: "جوانب من الإسهام الآرامي في تلاقح حضارات الشرق القديم"ضمن كتاب آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات، تنسيق أحمد شحلان،

منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالرباط، ط١، الرباط-٢٠٠٥.
- بشير زهدي: "مملكة دمشق الآرامية "، الحوليات الأثرية السورية، م٨-٩، دمشق-١٩٥٨.
-برهان الدين دلو: حضارة مصر والعراقالتاريخ الأقتصادي-الأجتماعي-الثقافي والسياسي، دار الفارابي ومكتبة السائح، ط٢، بيروت-٢٠١٤
-هاري ساكز: البابليون، ترجمة سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديدالمتحدة، ط١، ليبيا-٢٠٠٩.
- فؤاد ساعة: "الفارسية الوسطى من خلال أعمال المستشرقين"ضمن كتاب مدونات النصوص القديمة: أعمال المستشرقين والأركيولوجين، جامعة محمد الخامس منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالرباط، ط١، الدار البيضاء -٢٠٠٨.
-دوبونت سومر: "الآراميون"ترجمة الأب البير أبونا، م ١٩، ج١-٢، بغداد-١٩٦٣.
- أيرين فرانك؛ ديفيد براونستون، ترجمة أحمد محمود، المشروع القومي للترجمة، القاهرة-بدون تأريخ. ١٩٦٦.
- أنيس فريحة: أحيقا ر حكيم من الشرق الأدنى القديم، سلسلة العلوم الشرقية، بيروت-١٩٦٢.
-جباغ قابلو: "كتابات آرامية من جمهورية جورجيا"، دراسات تأريخية، العدد٦٣-٦٤، دمشق-١٩٩٨.
- عبد الفتاح عباده: انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، القاهرة-١٩١٥.
- محمد نور الدين عبد المنعم: معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، الرياض-٢٠٠٥، ج١
-مختار الغوث: لغة قريش، دار المعراج الدولية، الطبعة الأولى، الرياض-١٩٩٧.
-هوما كاتوزيان: الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحدبثة، ط١، جاول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان-٢٠١٢.
- سعاد الكتبية: "قراءة في الترجمة السبعينة للعهد العتيق "ضمن كتاب مدونات النصوص القديمة: أعمال المستشرقين والأركيولوجين، تنسيق أحمد شحلان، منشورات كلية الآداب والعلوم والأنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، الدار البيضاء-٢٠٠٨.
-آرثر كريستنس: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-١٩٨٢.
-إيفا كانجيك كيرشباوم: تأريخ الآشوريين القديم، ترجمة فاروق أسماعيل، ط١، دار الزمان، دمشق-٢٠٠٨.
-عبد الفتاح عباده: انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، القاهرة-١٩١٥.
- أسامة عدنان: أبحاث ف يتأريخ الشرق الشرق الأدنى

القديم، دار آشوربانيبال، ط١، بغداد-٢٠١٤.

– علي أبو عساف: الآراميون، دمشق-١٩٨٩.

– محمد أبو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت-١٩٨٧.

-غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة-٢٠١٢.

-فاروجا نكازانجيان: مختارات من الشعر الأرمني عبرالعصور، مراجعة محمد أبراهيم أبوسنة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-٢٠٠١-محمد عبد القادر محمد: إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، ط١، الأنجلو المصرية، القاهرة-١٩٨ .

-حسن المازوني: "الزرادشتية بوصفها تعبيرا عقائديا وفكريا للشرق القديم "ضمن كتاب حضارات الشرق القديم بين علم الآثار وحفريات الأبداع، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالدار البيضاء، الدار البيضاء-٢٠١٦.

-عبد الله مصطفى نومسك: البوذية تأريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، ط١، مكتبة أضواء السلف، المملكة العربية السعودية -١٩٩٩٢.

-عبد المنعم النمر: تأريخ الأسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت-١٩٨١.

– سو هاميلتون: الفلسفة الهندية، ترجمة صفية مختار، مراجعة هبة عبد العزيز غانم، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم.

– Daniel, D. G., The Meades and Persians, London –1968.

- Luckenbill ‹D.D., Ancient Recoreds of Assyrain and Babylonia New-York ‹1926 - 1927: Vol .1

-Fales, F.M.M. , "Alist of Assyrian and West Some Aramic Epingraphs Ginsberg ‹H.L. , "Aramaic Letters"In ANET." ‹Iraq ‹pt.2, London-1972. –

Semitic Women", Iraq, Vol. 16, London-1954. " Millard, A.R.–

- Millard, A.R. , “ Infancy of Alphabet “ in Word Archaeology ‹Vol .17, No.3

Ross, B .‹ , Correspondence in clay “ in Aramco world ‹Vol .50 ‹No.6 1999.–

-Porten, B. , “The Identity of King of Adon” , B.A, Vol. 44 ‹No. 1, 1981. Saggs.H.F. ‹Iraq, Vol.18, London-1956 –

- Shea ‹W.H. ‹“Adon’s Letters and the Babylonian Chronicle” , BASOR ‹No. 223,

" مذهب الإمام الشافعى ببلاد الشام وأثره على
الجانبين السياسي والفكرى خلال القرنين الثانى والثالث الهجرى/ الثامن والتاسع الميلادى "

الدكتورة/ مشاءالله شنشان عثمان عرابي

دكتوراه فى التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

جمهورية مصر العربية

المستخلص:

يهدف البحث إلى عرض سيرة الإمام الشافعى عرضـاً يمكـن مـن خلالـه الوقـوف علـى العوامـل المـؤثرة فى تكوين شخصيته الاجتهادية الكبيرة التى استطاعت أن تؤسس ثالث المذاهب الفقهية.

كما تضـمن البحـث سيرة الإمـام الشـافعى والملامـح العامة للعصر الذd عاش فيـه، واسـمه ونسبه ومراحلـه التى تنقل بينها، ورحلاته المتعددة، واشـتغاله بتأسيس المذهب وتدوينه فى العـراق أولاً ثـم إعادة التـدوين فى مصر، وتنضيجه حتى قضى نحبه وقـد أتـم مشروعه، ودور تلاميـذه فى نشـر المـذهب فى العـالـم الإسـلامى عامة وبلاد الشام خاصة.

الشافعى إمـام مـن كبـار أئمـة المسلمين عبر العصـور، جمع فى شخصيته معالم الثقافة الإسـلامية، فهـو البليـغ الفصـيح الـذى أخـذ مـن العربيـة الحـظ الأوفى، وهـو صـاحب المـنهج الـذى صـاغ أصـول الفقـه فخـرج للمسلمين بـأول مدوناتـه، ناهيك عـن فقهـه الـذى مـلأ السـمع والبصـرباعتباره مـنهج وسـطاً بـين أهـل الـرأى وأهل الحديث.

الكلمات الدالة:

بلاد الشام – المذاهب الدينية – فقه الشافعى .

Abstract:

The research aims to present the biography of Imam Shafi'i presentation through which to stand on the factors affecting the formation of his personality Ijtihad great، which was able to establish the third schools of jurisprudence.

The research also included the biography of Imam Shafi'i and the general features of the era in which he lived، and his name، lineage and stages that moved between، and his multiple trips، and his work to establish the doctrine and codify it in Iraq first and then re-codification in Egypt، and mature until he died has completed his project، and the role of his students in spreading the doctrine in the Islamic world in general and the Levant in particular.

Shafi'i Imam of the senior imams of Muslims through the ages، collected in his personality the features of Islamic culture، it is eloquent eloquent who took from the Arabic of luck fullest، which is the owner of the approach

that Sakh principles of jurisprudence came out to Muslims first blogs، not to mention the jurisprudence، which filled hearing and sight as a compromise approach between the people of opinion and the people of hadith.

Key words: Bilad al-Sham - religious doctrines - Shafi'i jurisprudence.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد الهادى الأمين، الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير، وعلى آله وصحبه الكرام المطهرين، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

لقد دعانا الله تعالى إلى الوحدة وعدم التفرق والانقسام إلى فرق وأحزاب متناحرة ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، كما دعانا نبيه الكريم إلى عدم الانقسام والاختلاف والتمسك بمبادئ الدين فقال ﷺ «تَركتُ فيكُم أمرَين، لَن تضِلُّوا ما تَمسَّكتُم بهما: كِتابَ الله، وسُنَّةَ نَبيِّه».

فإذا عمل المسلمون بهذا المبدأ وهو السير على منهج كتاب الله وسنة النبى ﷺ، لما اختلفوا وانقسموا لفرق وأحزاب مختلفة؛ فالاتحاد قوة والانقسام ضعف، فإذا انقسم المسلمون إلى مذاهب وفرق ساد بينهم الخلاف والضعف.

لهذا جاء اختيار موضوع " مذهب الإمام الشافعى ببلاد الشام وأثره على الجانبين السياسي والفكرى خلال القرنين الثانى والثالث الهجرى/ الثامن والتاسع الميلادى "، وذلك لمعرفة أهمية المذهب الشافعى الذى هو ثال المذاهب تأسيسًا بعد المالكية والحنيفية، وأثر المهب على نواحى الحياة العامة على بلاد الشام خلال فترة البحث، وكيف كان للمذهب أثر عميق فى الحضارة الإسلامية.

اعتمدت الدراسة على المنهج العلمى للبحث التاريخى، مع نظرة تحليلية لما ورد فى المصادر المختلفة، مع عرض الآراء بنظرة نقدية.

ومما لا شك فيه أن إعداد بحث – كالذى بين أيدينا- لم يكن سهلاً على صاحبه، فقد كان على الباحث أن يخوص فى أمّهات الكتب مخطوطة ومطبوعة، ليست التاريخية فحسب، بل كتب التراجم والطبقات التي كانت هي المصدر الأساسى للمادة العلمية التي اعتمدت عليها فى هذا البحث، كذلك كان علىّ أن أقلّب صفحات الكتب الأدبية والجغرافية لجمع ما تناثر فى ثناياها من مادة علمية تتصل بموضوع البحث.

أولاً: - الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام:

تقع بلاد الشام فى الجزء الأوسط من غرب قارة آسيا تلك المنطقة الجغرافية شاسعة الامتداد، فتطل من جهة الشمال على الدولة البيزنطية، ومن جهة الجنوب ترتبط بالديار المصرية، أما فى شرقها العراق وفى جهة

الغرب تطل على البحر المتوسط[١].

وبذلك نجد أن بلاد الشام تتوسط ثلاث قارات هى آسيا وإفريقيا وأوربا، ولموقعها على ساحل البحر المتوسط جعلها مركز حضاريًا وتجاريًا هامًا تلتقى فيه التجارة وكذلك تخرج منه إلى مختلف الأمصار، فهذا الموقع الجغرافى الهام ساعد على وجود علاقات اقتصادية وحضارية.

أما من الناحية التاريخية فنجد أن بلاد الشام تتوسط أعرق حضارتين عرفهما التاريخ القديم، الحضارة المصرية القديمة وحضارة بلاد العراق القديم[٢].

وفى مرحلة مبكرة من تاريخ بلاد الشام نجد استقرار عدد من القبائل العربية، ولم تقطع تلك القبائل صلاتها بعرب شبه الجزيرة العربية[٣]، واستمر زحف تلك القبائل بأعداد كبيرة إلى بلاد الشام قبل الإسلام وبعد الفتح الإسلامي[٤].

فبذلك لم يكن العرب عنصراً طارئاً على بلاد الشام جاء مع الفتح الإسلامي، لكن العرب كانوا موجودين فى بلاد الشام منذ القدم[٥]، فالعرب لم يعزلوا أنفسهم عن المناطق المحيطة بشبه الجزيرة العربية، وذلك نتيجة اشتغالهم بالتجارة مع البلدان المجاورة لهم[٦].

ثانياً: - الأوضاع السياسية لبلاد الشام ومدى أثرها على مذهب الإمام الشافعي:

بعد استشهاد الخليفة على بن أبى طالب؟؟؟ (35-40هـ/ ٦٥٦-٦٦١م) وتنازل ابنه الحسن بن على؟؟؟؟ عن الخلافة عام (٤١هـ/ ٦٦١م)، انتقلت الخلافة الإسلامية من حكم الخلفاء الراشدين إلى حكم الدولة الأموية على يد مؤسسها معاوية بن أبى سفيان(٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م)[٧] وقد اختلفت الأمة الإسلامية حول بيعة معاوية فمنهم من بايعه طواعية كأهل الشام، ومنهم من اضطر وبايعه كرهاً كأهل الحجاز والعراق. ومنهم من قبل وسَلَّم بالأمر الواقع كأهل اليمن ومصر

---

(١) الإصطخرى، مسالك الممالك، ليدن، ١٩٦٧م، صـ ٥٥؛ المقدسي، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، طبع فى مدينة ليدن المحروسة، بمطبعة بريل، ١٩٠٩م، صـ ١٥٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، صـ ١٥٣.

(٢) محمد بيومى مهران، بلاد الشام، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، صـ ١١.

(٣) عبد العزيز الدورى، الأرض فى بلاد الشام فى صدر الإسلام، المؤتمر الدولى الأول لتاريخ بلاد الشام، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ط١، صـ ٨.

(٤) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ج١، صـ ٦٤؛ نسيب =

= وهبة الخازن، من الساميين إلى العرب، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٢م، صـ ٨٩- ١٤١-١٤٦.

(٥) وداد عوض الدرايسة، الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام فى العصر الأموى، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، ١٩٩٤م، صـ ٣.

(٦) محمد إبراهيم الفيومى، فى الفكر الدينى الجاهلى، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م، ط٢، صـ ٤٨-٤٩.

(٧) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، صـ ٢٠٣؛ أبو زرعة الدمشقى، تاريخ أبى زرعة، صـ ١٩٠.

وباقى أجزاء الدولة. وبعدما أصبح معاوية خليفة المسلمين كان عليه أن يقوم بلَمِّ شعث المسلمين وتوحيد كلمتهم، وإعادة الأمن والنظام للدولة مرة أخرة نتيجة الأحداث التي جرت فى الدولة قبيل توليه الحكم[١].

انتقل مركز الخلافة من الكوفة لدمشق وبلاد الشام، وتحول نظام الحكم من الشوري إلي الملكي الوراثي، وحدثت الكثير من التغيرات فى النظم الإدارية والمالية للدولة الإسلامية، واستمر حكم الدولة الأموية تسعين عاماً، تعد من أزهى فترات التاريخ الإسلامي، حيث اتسعت رقعة الدولة حتى امتدت من نهر السند شرقاً حتى الأندلس غرباً[٢].

استمرت الدولة الأموية فى أوجها حتى وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م) وتولى من بعده عدد من الخلفاء انحدر خلال فترة حكمهم منحنى ازدهار الدولة نحو السقوط، فبعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٣-٧٤٤م) دخل الأمراء الأمويون فى صراع على السلطة وظهرت الانشقاقات بينهم التى أدت فى نهاية المطاف إلى ضعف الدولة وسقوطها، وذلك لأن هؤلاء الخلفاء الذين تولوا بعد هشام بن عبد الملك لم يكونوا على قوة وحكمة سابقيهم من الخلفاء لإدارة شئون الدولة، فيعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد هو بداية النهاية للدولة الأموية[٣].

كل عوامل الضعف التي دبت فى الدولة الأموية أتاحت الفرصة للعباسيين للاستفادة منها وقام العباسيون بتجنيد كل العناصر الناقمة على حكم بن أمية، واستطاعت فى نهاية المطاف إسقاط الدولة الأموية وإقامة الدولة العباسية على أنقاضها[٤].

وبذلك قامت الدولة العباسية، وسيطرت على الدولة الإسلامية ومنها بلاد الشام، وهنا لابد من الحديث عن بدايات الدولة العباسية، لأنها ارتبطت بجنوب بلاد الشام باعتبارها المركز السرى للدعوة، والتي من خلالها انتشرت فى الأجزاء الشرقية من الدولة الإسلامية، ومنها فرض السيطرة الكاملة على أجزاء الدولة.

نجد أن بعض الروايات تذكر لنا أن الإمام أبا هاشم

---

(١) عطية القوصى، الدولة العربية الإسلامية، دار الثقافة العربية، (د.ت)، صـ ١٥٢-١٥٣؛ عبد الشافى عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٧، ط١، صـ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، صـ ١٢٦؛ حسين عطوان، الدعوة العباسية " تاريخ وتطور"، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥، ط٢، صـ ١٣٣.

(٣) البلاذرى، أنساب الأشراف، ج٩، صـ ١٨٤؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٤، صـ٣٠٨؛ النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢١، صـ ٤٨٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٣، صـ ١٣٢.

(٤) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، صـ ٤١٥: ٤٣٠؛ المسعودى، التنبيه والإشراف، تصحيح ومراجعة عبدالله إسماعيل الصادق، مطبعة المثنى، بغداد، ١٣٧٥هـ/ ١٩٣٨م، صـ ٢٨١-٢٨٥.

عبدالله بن محمد بن الحنيفية بن علي بن أبي طالب "كان يقود الحركة العلوية" وفد على الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٨م)، فأكرمه وأجازه، وأثناء عودة أبى هاشم حضرته الوفاة ببلاد الشام، فاتجه نحو الحُمَيْمة وأوصى لعلى بن عبدالله بن العباس، بكتبه وصرف إليه الشيعة ومات عنده[١].

أما بعض الروايات العباسية والشيعية فتذكر لنا أن سليمان بن عبد الملك لمس ذكاء أبى هاشم وخشى منه، فأرسل له أثناء سفره بعض الأشخاص دسوا له السم فى شرابه[٢]. ومهما يكن من أمر فإن الدعوة العباسية ازدادت بشكل كبير، وزاد عدد أنصارها، واستطاع أقوى دعاتها آنذاك" أبو مسلم الخراسانى"[٣] أن يجهر بها فى خراسان، وأن يخضعها لبنى العباس وذلك عام(١٣١هـ/ ٧٤٩م) واستكمل بجيشه وسيطر على العراق ومنها على الكوفة[٤].

وعندما كشف مروان بن محمد أمر بنى العباس فى الحُمَيْمة أمر إبراهيم الإمام[٥]أخاه أبا العباس بعد أن عهد إليه بالإمامة بالخروج من الحُمَيْمة إلى الكوفة، حيث يكثر بها أنصارهم[٦]. ومن الكوفة تحركت جيوش بنى العباس، التي اشتبكت مع جيوش الأمويين والتقى

(١) مصعب الزبيرى، نسب قريش، تحقيق إ. ليفى بروفنسال، دار المعارف، (د.ت)ط٣، صـ ٧٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، صـ ٢٧؛ ابن قتيبة، المعارف، صـ ١٢٦.

(٢) البلاذرى، أنساب الأشراف، ج٣، صـ ٤٦٦؛ اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج٢، صـ ٢٩٦-٢٩٧؛ الأصفانى، مقاتل الطالبيين، صـ ١٢٣-١٢٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٢، صـ ٢٧٥، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٤، صـ٣٢٢.

(٣) أبو مسلم الخراسانى: أحد الموالى، سمع عن الدعوة العباسية وتعرف عليها أثناء سجنه، وعندما رآه الإمام إبراهيم أعجب به، وأرسله إلى خراسان لينشر الدعوة بها، ونجح فى ذلك، واستطاع تنظيم الجيش ونشر الدعوة، قال عنه بعض المؤرخين" ناقل الدولة"، استطاع القضاء على ثورة عبدالله بن على عام (١٣٧هـ/ ٧٥٥م)، وعندما زاد نفوذه أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بقتله حتى لا يطمع فى الملك وذلك عام (١٣٧هـ/ ٧٥٥م).مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد =

= العزيز الدورى وعبد الجبار المطلبى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م، صـ ٢٥٣-٢٥٧؛ المطهر المقدسى، البدء والتاريخ، المقدسي، البدء والتاريخ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣، ط١، صـ ٣٤٥-٣٤٧.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، صـ ٢٠٨؛ الدينورى، الأخبار الطوال، صـ ٣٥٩-٣٦٠؛ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، صـ ٣٠٦-٣٢٣؛ الذهبى، العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٤٨، ج١، صـ ١٣٢؛ ابن طباطبا، الفخرى فى الآداب السلطانية، صـ ١٤٥-١٤٦.

(٥) "هو السيد أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن على بن حبر الأمة عبدالله بن العباس الهاشمى، كان يسكن الحُميمة، عهد إليه أبوه بأمر الدعوة العباسية، انتشرت دعوته بخراسان، واستمرت تلك الدعوة فى السر حتى استطاع مروان أن يشكف أمره، فأمر بحبسه، توفى بالسجن عام (١٣١هـ/ ٧٤٩م)، وقبل وفاته عهد بأمر الدعوة إلى أبى العباس السفاح. الذهبى، سيرأعلام النبلاء، ج٥، صـ ٣٧٩.

(٦) اليعقوبى، تاريخه، ج٢، صـ ٣٤٩؛ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، صـ ٣١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، صـ ٦٤.

الجيشان عند نهر الزاب[١] عام (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)[٢]، وانتهى الأمر بهزيمة الجيش الأموى[٣]، الذى ترتب عليه سقوط الدولة الأموية.

أصيب أهل الشام والأمويون بحالة من الذهول من هول سقوط الدولة الأموية، فقد تغيرت أوضاعهم كافة، فقد تناقص الدور الذى كانت تقوم به بلاد الشام، فبعد أن كانت هي العاصمة التي من خلالها تدار جميع شئون الدولة الإسلامية، أصبحت بلاد الشام تقف على شاطئ الأحداث ليس لها الحق فى الخوض فيها، وهذا الأمر لم يرض أهالى الشام، لذلك قاموا بالعديد من الثورات التي رفضت الحكم العباسي، وكنوع من رد الفعل نتيجة سقوط الدولة الأموية[٤].

وكانوا يأملون من تلك الثورات استعادة المكانة التي فقدوها، أو تعويض النفوذ الذى تمتعوا به فى ظل الدولة الأموية[٥].

لقد تنبه العباسيون منذ اللحظة الأولى لأهمية ومكانة بلاد الشام، والنفوذ التي تمتعت به تلك البلاد أثناء الحكم الأموى لكونها حاضرة الدولة الأموية، فتعامل معها العباسيون على هذا القدر، فنجد أن قائد الجيوش التي اتجهت إلى بلاد الشام كان من الأسرة العباسية، وهذا يعد نوعاً من الثقة وإضفاء الشرعية على الثورة العباسية[٦].

نقل العباسيون عاصمة الخلافة من الشام إلى العراق، وبذلك خسرت الشام مكانتها كمركز للدولة الإسلامية، ولكن على أي حال لم تفقد الشام أهميتها الخاصة فى كونها موقعاً جغرافياً بين العراق والمناطق الغربية من دولة العراق، كذلك حدود بلاد الشام مع بلاد الروم التي جعلت منها مسرحاً لمواجهة الروم[٧].

انتشرت الفتن والاضطرابات ببلاد الشام عقب دخول العباسيين لها، لذلك قام الخلفاء العباسيون الأوائل

---

(١) الزاب: " اسم أطلق على عدة أنهار في العراق، وهذه المعركة وقعت عند نهر الزاب الأعلى، بين الموصل وإربل". ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، صـ١٢٣-١٢٤.

(٢) المسعودى، مروج الذهب، ج٢، صـ٤٣٦.

(٣) البلاذرى، أنساب الأشراف، ج٩، صـ٣١٨؛ أبو الفداء، المختصر فى أخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر، ١٩٤٠م، ط١، ج١، صـ٢١١.

(٤) كلود كاهن، تاريخ الشعوب العربية، ترجم بدر الدين قاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢، صـ٥٨؛ جوزى بندلى، السفيانى، مجلة المقتطف، القاهرة، مجلد٨٣، ١٩٣٣م، ج١، صـ٤٩.

(٥) البلاذرى، أنساب الأشراف، ج٣، صـ١٩٣؛ اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج٢، صـ٤٣٩؛ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، صـ٤٤٣؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٦، صـ١٣٠.

(٦) البلاذرى، أنساب الأشراف، ج٣، صـ١٠٣؛ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، صـ٥١-٥٢؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٦، صـ١٦١-١٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ١٠٧.

(٧) سوفاجيه، دمشق الشام" لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر"، ترجمة فؤاد البستانى، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٦م، صـ٢٣.

بعدة زيارات للشام، وأقاموا بها فترة من الوقت، كما أرسلوا إليها أفضل رجال دولتهم لتولى أمورها[1].

وقد شهدت بلاد الشام خلال العصر العباسي حالة من عدم الاستقرار السياسي وذلك بسبب سوء السياسة التي اتبعها الولاة العباسيون وميلهم اتجاه عصبية على حساب أخرى[2]، فجاءت الكثير من الحركات المناوئة للعباسيين على أمل أن تعود الشام مركزاً للخلافة مرة أخرى، ولكن مصير هذه الحركات جاء جميعها بالإخفاق[3]، وهذا ما جعل الخلفاء العباسيين يبالغون فى الاهتمام بذلك الإقليم، ونلمس ذلك من خلال الولاة الذين تولوا حكمها وإدارتها فكان أغلبهم من أفراد البيت العباسي[4].

ثالثاً: - مذهب الإمام الشافعي:

شهدت فترة الدراسة حياة واحد من أعظم الفقهاء فى التاريخ الإسلامي وهو محمد بن إدريس الشافعي[5]،

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، صـ١٦٣؛ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، صـ٤٥٨؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج٧، صـ ٣١٥-٣٢٢-٣٢٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٦، صـ ١٣٠؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥، صـ ٤٦٥.

(٣) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج٢، صـ ٤١٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٦، صـ ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، صـ ٢٦٢؛ الجهيشارى، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ الشلبى، مطبعة البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٣٨، صـ ٢٠٨.

(٥) نسب الإمام الشافعي ومولده ونشأته:

=

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي. ولد بغزة ببلاد الشام، عام (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، يجتمع مع النبيﷺ فى جده عبد مناف، لقي جده شافع رسول اللهﷺ وهو مترعرع، وكان أبوه السائب صاحب راية بنى هاشم يوم غزوة بدر ٢هـ، فوقع فى أسر المسلمين ثم فدي نفسه وأسلم. البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، صـ٥٦؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، صـ٣٦٠؛ ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، (د.ت)، ج١، صـ ١٥٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، صـ ٢٢.

أمه تنتمي إلى قبيلة الأزد، اسمها فاطمة وتكنى أم حبيبة، وهي فاطمة بنت عبدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؟؟؟. جمع الشافعي بين شرف النسب الذي يلتقي مع النبي ﷺ من أمه ومن أبيه، وشرف العلم الذي هو إرث الأنبياء.

عاش الإمام الشافعي فقيراً يتيماً حيث توفي والده وهو ابن عامين، وبذلك انقطع مورد الرزق بوفاة والده، فحملته أمه إلى موطنهم الأصلي " مكة". ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٩، صـ ٢٩.

-صفاته وأخلاقه: الصفات الخُلقية هي ميزان العبد عند الله، قال رسول الله ﷺ " الله يحب الرفق فى الأمرِ كله". البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق فى الأمر كله، ضمن حديث طويل عن عائشة (رضي الله عنها)، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، ج٧، صـ ٨٠.

وقد أجتمع لدي الإمام الشافعي العديد من الخصال منها:

أ- الكرم: يظهر كرم الإمام الشافعي فى كثير من المواقف ومنها، أن أحد تلاميذه نصحه يشتري بمال كان معه ضيعة تكون له ولولده من بعده، فاشترى مضرباً بمني ليكون لأصحابه إذا يحجون. وغيرها من المواقف التي تدل على كرم الإمام الشافعي، لقد كان يعطي عطاء من كان يرجو الله واليوم الآخر، وهذا الموقف يبين إيثاره لغيره على نفسه. ابن خلكان، وفيات

=

الـذى عـاش فى أزهـي عصـور الإسـلام حضـارة وفكـر وثقافـة وعلمــاً، القـرن الأول مـن الحكـم العباسـي (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م).

فقد تجلت فى هذه الفترة قوة الحكم واستقراره، فتمكن الخليفة من بسط نفوذه على هذه الرقعة الهائلة من الدولة الإسلامية، وساس فيها بحزم وعزم أجناساً مختلفة من البشر، يختلفون من حيث العنصر، والبيئة، والثقافة، والتحضر. هذه الهيئة السياسية استطاعت أن تقضي على أطماع الطامحين فى الحكم، إلا فئة قليلة لها أنصارها، ترى أن لها الحق فى الخلافة لقرابتها من رسول الله ﷺ.

بدأت حياة الشافعى العلمية عندما طلب العلم بمكة على يد من كان فيها من الفقهاء والمحدثين، وبلغ شأناً عظيماً حتى أذن له بالفتيا[١]معلمه الإمام " مسلم بن خالد الزنجي "[٢].

فكان لحياته فى مكة دور عظيم فى تكوين حياته العلمية، والعملية فقد عرف عنه رجاحة العقل[٣].

لقد شغل الشافعي الناس بعلمه وعقله، شغلهم فى بغداد وقد نازل أهل الرأي، وشغلهم فى مكة وقد ابتدأ يخرج عليهم بفقه جديد يتجه إلى الكليات بدل الجزئيات، والأصول بدل الفروع، وقد أخذ يدرس خلافات الفقهاء وخلافات بعض الصحابة على أصوله التي اهتدى إليها.

فقد أوتى الشافعي علم اللغة العربية، وأوتى علم الكتاب[٤]، وأوتى علم الحديث، فحفظ موطأ مالك، وضبط قواعد السُّنَة، وفِهْم مراميها والاستشهاد بها، ومعرفة الناسخ والمنسوخ منها، وأوتى الرأي والقياس، ووضع ضوابط القياس والموازين، لمعرفة

=

الأعيان، ج٤، صـ ٢٤؛ عبد الحليم الجندي، الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، ١٩٦٩م، صـ ٦٥، ٦٤.

(١) قال له مسلم بن خال الزنجي: "أفت يا أبا عبد الله، فقد آن لك أن تفتي". النووي، تهذيب الأسماء واللغات، صـ ١٦٤.

(٢) هو مسلم بن خالد الزنجي المكي الفقيه، أبو خالد، مولي بني مخزوم، كان فقيه أهل مكة، لقب بالزنجي لسواده، مات سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، وعمره ٨٠عام. الذهبي، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، ج٤، صـ ١٠٢.

(٣) وذلك يتبين من خلال ما رواه عن نفسه قائلاً: "رأيت بالمدينة أربع عجائب: رأيت جدة لها إحدى وعشرون سنة، ورأيت رجلاً فَلَّسه القاضي فى مُدَين نوىً، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلمهن الغناء، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً، وكان بالمدينة والٍ وكان رجلاً صالحاً فقال: مالي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاة؟ فقالوا: إنك لا تضرب أحداً، ولا تؤذي الناس، فقال: أهكذا؟! عَلَيَّ بالإمام، فَنُصِبَ بين العقابين، وجعل يضرب والإمام يقول: أعز الله الأمير إيش جرمي؟! وهو يقول حمَلنا بنفسك، حتى اجتمع الناس على بابه". الطبري، معجم الأدباء إرشاد الأريب فى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ط١، ج١٧، صـ٣١٧.

(٤) قال بعض تلاميذه: " كان الشافعى إذا أخذ فى التفسير كأنه شاهد التنزل". الشافعي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ط١، صـ٢٨.

صحيحه وسقيمه، وكان يدعو إلى طلب العلوم[1].

هذا وقد أعجب الإمام الشافعي بجمال اللغة العربية وشغف بها، وأقبل على تعلمها وبذل فيها جهده، فأقبل على دراسة الشعر، والأدب، وأيام العرب. وفى تلك الفترة قابل الإمام " مسلم بن خالد الزنجي" فنصحه بتعلم الفقه[2].

رحلات الشافعي فى طلب العلم:

أ- مكة:

أقبل الشافعى على تعلم الفقه، فكان أول معلم له هو الإمام " مسلم بن خالد الزنجي" مفتي مكة، ولقد أذن له بالإفتاء حينما بلغ خمس عشرة سنة، واستعان الإمام الشافعى باللغة العربية التى برع فيها على تعلم الفقه، وكما طلب الشافعى اللغة العربية ليستعين بها على الفقه كذلك طلب الحديث للاستعانة به على الفقه[3].

(١) فقد كان يقول: "من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر فى الفقه نبل قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه". البيهقي، مناقب الشافعي، تحقيق أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م، ط١، ج١، صـ ٢٨٢.

(٢) قال الإمام الشافعي: " خرجت أطلب النحو والأدب فلقيني مسلم بن خالد الزنجي فقال: يا فتي! من أين أنت؟ قلت: من أهل مكة. قال: أين منزلك؟ قلت بشعب الحنيف. قال: من أي قبيلة أنت؟ قلت: من بني عبد منافٍ. فقال: لقد شرفك الله فى الدنيا والآخرة، ألا جعلت فهمك هذا فى الفقه فكان أحسن بك". النووي، تهذيب الأسماء واللغات، صـ ١٦١-١٦٢.

(٣) الأسنوي، طبقات الشافعية، ج١، صـ ١٨٠.

ب- المدينة:

رحل الشافعي إلى المدينة قاصداً الإمام مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكي، فتتلمذ على يده وظهر ذكاؤه أنه حفظ كتابه "الموطأ " وهو فى مكة قبل أن يرحل إلي الإمام مالك[4]، وكان آنذاك يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً[5].

نبغ الشافعي على يد الإمام مالك، ولزمه في المدينة، وكان ضيفاً عليه فترة استغرقت ثمانية أشهر، لقد رأى فيه الإمام مالك الصلاح والتقوى ولمس فيه النبوغ والعلم[6].

جـ- العراق:

ثم رحل الإمام الشافعى إلى بلاد العراق طلباً للفقه الحنفي وكان ذلك سنة (١٨٤هـ/ ٧٩٨م)، ونشر بها علم الحديث، فلقب ببلاد العراق بناصر الحديث. دخل الإمام الشافعي بغداد وكانت مليئة بالأفكار والآراء والملل والنحل، وبالناس من كل الأجناس، وبالمجوس وبالزنادقة والشعوبيين الكارهين للإسلام، أما المسلمون فمنهم شيعة وخوارج وقدريون ومرجئة ومتكلمون ومعتزلة، ولكل فرقة فرق.

وجمهور الأمة هم أهل السنة، لكن مذاهبهم شتى. لقد كان المسلمون فى النصف الثاني من القرن الثاني

(٤) الأسنوي، طبقات الشافعية، ج١، صـ ١٨٠.

(٥) ابن حبان، الثقات، ج٩، صـ ٣٠.

(٦) ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب، صـ ١٥٧.

يقودون العالم فى العلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية، وإلى جانب ذلك ظهر أعظم الأسماء فى الفقه، وبذلك حقق المسلمون معجزة فى فتوح الفكر.

وأثناء رحلة الإمام الشافعي فى بلاد العراق ترك أثراً فى نفوس المؤيدين له والمخالفين، وأجمعوا على الشهادة بعقله وفهمه وسرعة بديهته(1). وغادرها بعد أن ترك بها أثراً واضحاً، وقد خرج أهل العراق لوادعه وفى مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل. وقد حمل معه فقه أبي حنيفة إلى مكة، وبهذه الرحلة أتم الشافعي رحلته فى طلب العلم بين مكة والمدينة والعراق فأصبح قادراً على الجلوس للإفتاء والتدريس بالمسجد الحرام(2).

وفى العراق التقي بالإمام عبد الرحمن بن مهدي(3) إمام أهل الحديث فى العراق فطلب من الشافعي أن يصنف له كتاباً فى الفقه(4). فوضع الشافعي كتاب الرسالة(5) فأعظم إنجازاته أنه مؤسس علم أصول الفقه، وأثناء إقامته بالعراق صنف أيضاَ كتاب " الحجة" وقد رواه عنه الإمام أحمد بن حنبل(6).

د- مصر:

ثم انتقل الإمام الشافعي إلى مصر، واستقر بها حتى سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م)(7) فكان أول شيء فعله حين ذلك هو زيارة قبر الإمام الليث بن سعد(8) ووقف عند

---

(١) ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط١، صـ٥٦.

(٢) الشافعي، الأم، صـ١١.

(٣) عبد الرحمن بن مهدى بن حسان بن عبد الرحمن العنبرى، مولى بنى أزد، البصرى، يكنى أبا سعيد، ولد عام (١٣٥هـ/ ٧٥٢م)، ملكى المذهب واستطاع نشره فى العراق، فهو تلميذ للإمام مالك، ويعد مؤسس المدرسة المالكية بالعراق، توفى عام ١٩٨هـ/ ٨١٤م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، صـ٢٩٧؛ ابن حبان الثقات، ج٨، صـ٣٧٣؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٩، صـ١٩٣؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج١، صـ٤٦٣.

(٤) البخاري، التاريخ الكبير، ج١، صـ٤٢.

=

(٥) للشافعي رسالتان قديمة وجديدة، القديمة كتبها بالعراق وأرسلها إلي الإمام عبد الرحمن بن مهدي، وهذه الرسالة القديمة لم يبق لها أثر، وليس فى أيدي الناس الآن إلا الرسالة الجديدة المطبوعة طبعات عدة. الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ، ١٩٤٠م، ط١، صـ٩.

(٦) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، صـ١٦٤؛ ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب صـ١٦٠؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، صـ٣٦٢.

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٤، صـ٦٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، صـ٣٣؛ ابن زيد الحنبلي، محاسن المساعي، صـ٨٥.

(٨) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى القلقشندى، يكنى أبا الحارث، ولد فى قرية قلقشندة بمصرعام (٩٤هـ/ ٧١٣م)، أصله فارسى من أصبهان، فقيه ومحدث أهل مصر، صاحب أحد المذاهب الإسلامية المندثرة، فاق فى زمنه الإمام مالك، والسبب فى عدم انتشار مذهبه هو أن تلاميذه لم يقوموا بتدوين علمه وفقهه ونشره فى البلدان، كان رجلاً زاهداً، ولم يطبق عليه زكاة لأنه كان ينفق أمواله معظم السنة على الفقراء والمساكين، كان الوالى والقاضى بمصر يرجعون لرأيه ومشورته. كان كثير الاتصال بمجالس العلم، توفى عام (١٧٥هـ/ ٧١٩م)، وأقيمت له جنازة كبيرة بمصر. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧،
=

القبر خاشعًا يردد ويقول: " لله يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يكملن لعالم: العلم والعمل والزهد والكرم وبمصر صنف جميع كتبه الجديدة، فأعاد الشافعي النظر فى الرسالة فجدد تأليفها، كما أعاد النظر فى كتابه "الحجة" فألف بدله كتاب "الأم"، وابتكر كتبًا منها: أصول الفقه وكتاب القسامة، وكتاب الجزية وكتاب أهل البغي، وأخذ عن السيدة نفيسة (رضي الله عنها) مصدر العلم والدين والتقوى، وكان الشافعي يعرف مقدارها ومكانتها فأستأذن فى زيارتها فأذنت له ورحبت به وأعجبها عقله وورعه وسمع منها ما لم يكن قد وصل إليه من حديث رسول الله ﷺ[1]. وقصده الطلاب من جميع البلدان للتعلم منه والأخذ عنه.

كان الشافعي يجلس فى جامع عمرو بن العاص فى مصر بعد صلاة الفجر ويبدأ أولى حلقاته العلمية وهى " القرآن وعلومه" فيأتيه علماء التفسير وعلوم القرآن الأجلاء ليتعلموا منه، فإذا انتهى تحول إلى الحديث فيأتيه علماء الحديث ليتعلموا منه وإذا فرغ انتقل إلى علوم اللغة وآدابها فيأتيه علماؤها يدرسون عنه[2].

وبعد الانتهاء من حلقاته العلمية يعود الإمام الشافعي إلى بيته وكان قد تعلم ذلك من معلمه مالك أن يجبر الناس على احترام خلوته فى بيته، لم تكن خلوة الإمام الشافعي للراحة والهدوء والسكينة فقط بل كانت للتفكير فيما يشغله من مسائل فقهية وعلمية[3].

- مذهب الشافعي وانتشاره: -

كان الناس قبل الإمام الشافعى فريقين: -

أ- أصحاب الحديث: وهم الحافظون لأخبار الرسول ﷺ، لكنهم غير قادرين على الدخول فى الحوار والمناقشة.

ب- أصحاب الرأي: استطاعوا السيطرة على أمور الحوار والمناقشة، ولكنهم افتقروا إلى الإلمام بالسنة والآثار عكس أصحاب الحديث، فكان الشافعي مرجحًا لكفة أهل الحديث عن كفة أهل الرأي[4].

فاستطاع الإمام الشافعي أن يؤسس قواعد مذهبه بعد أن اطلع على الخلاف بين طريقتي العراق (الرأي) والحجاز(الحديث)، فكان مذهبه فتحًا جديداً فى التفكير الذي يعتمد على الحديث ولم يعمل الرأي، مما مكنه من الانتقال من الفروع إلى الأصول، وحدد موقفه من الآراء الفقهية بناء على مخالفتها أو موافقتها للأصل الفقهي الذي استنبطه دون النظر إلى طريقة

=

صـ٥١٧؛ ابن حبان، الثقات، ج٧، صـ ٣٦٠؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج٦، صـ ٣٦٥؛ البغدادى، تاريخ بغداد، ج١٣، ٣: ١٤؛ المزى، تهذيب الكمال، ج٢٤، صـ ٢٥٥.

(١) الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٩، صـ ٩٩.

(٢) عبد الكريم القزويني، مسند الشافعي، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، قطر، ط١، صـ ١٣.

(٣) الأثرى، شفاء العي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ١٩٩٥م، ط١، ج١، صـ ١٣؛ عبد الحليم زيدان، الإمام الشافعي المصلح المتعايش والمبدع المجدد، معهد برامج التنمية الحضارية، لبنان، ٢٠٠٤م، صـ ٢-٣.

(٤) أحمد عبد الله اليظى، دراسة فى الفرق والطوائف الإسلامية، صـ ٨١.

صاحبها(١). فانفرد الإمام الشافعي بين الأئمة الكبار بأنه الوحيد الذي وضع أصول مذهبه بنفسه(٢).

تلاميذ الشافعي ودورهم فى انتشار المذهب:

للإمام الشافعي تلاميذ كثيرون درسوا على يديه، ونقلوا فقهه، فكان جزء منهم فى مكة وله تلاميذ نقلوا عنه فقهه فى بغداد، وله تلاميذ نقلوا عنه علمه فى مصر ومنهم:

١ - الحميدي(٣):

رحل الحميدي مع الإمام الشافعي إلى مصر ولازمه بها حتى توفى الإمام الشافعي فأراد بعد ذلك أن يأخذ منصب الشافعي فى الحلقات العلمية والإفتاء لكن ابن عبد الحكم(٤) تصدى له فلم يستطع الصمود أمامه، فعاد إلى مكة ومارس الإفتاء بها إلى أن توفى عام (٢١٩هـ/ ٨٣٤م) (٥).

٢ - البويطي (٦):

(١) أحمد أمين، ضحي الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ط٢، ج٢، صـ٢٣٨.

(٢) كامل العسلي، الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٠م، صـ١٨٢.

(٣) أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسي القريشي الحميدى، شيخ الحرم المكى، من شيوخ البخاري، له العديد من المؤلفات منها " المسند" و" الرد على النعمان"، و"التفسير"، و"الدلائل"، و"أصول السنة للحميدى. الشيرازى، الطبقات، صـ٨١؛ الذهبى، طبقات الحفاظ، ج٢، صـ١؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج١٠، صـ٦١٧؛ السبكى، طبقات الشافعية، ج٢، صـ١٤٠-١٤٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، صـ٢١٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، صـ٤٥؛ ابن خلدون، العبر، ج١، صـ٣٧٧.

(٤)عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، مؤرخ مصري، من أهل العلم بالحديث، ولد عام (١٨٧هـ/ ٨٠٩م)، وكان والده يشغل منصب صاحب المسائل " وهي وظيفة لا ينالها إلا العلماء الأمناء"، صنف الكثير من الكتب ومنها فتوح مصر وأخبارها وهو أول من ألف فى التاريخ الإسلامي لمصر، تعرض =

= هو وأخوته لمحنة خلق القرآن زمن الخليفة المعتصم، وعندما رفضوا القول بخلق القرآن عقدت محكمة ضدهم وسميت قضيتهم بـ قضية بنى عبد الحكم، وفرضت عليهم أحكام قاسية ومنها غرامة مليون وأربعمائة وأربعة آلاف دينار، ثم صودرت أموالهم لتحصيل الغرامة، وتم إلقاؤهم فى السجن ومات أخيه الأكبر فى السجن، وبعد ٣ شهور أخرجوا من السجن وأعيدت لهم أموالهم، لكنه أعتزل الحياة العامة هو وأخواته، توفى عام (٢٥٧هـ/ ٨٧٢م). الكندى، قضاة مصر، صـ٣٦٠-٣٦٤-٣٧٢؛ المزى، تهذيب الكمال، ج١٧، صـ٢١٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١، صـ٤٨٧؛ ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، صـ٨٨٨، ٨٩٦، ٩٣٤.

(٥) السبكى، طبقات الشافعية، ج٢، صـ٦٩.

(٦) أبو يعقوب يوسف بن يحيي البويطي، هو من الطبقة الأولى من فقهاء الشافعية، وهو صاحب الإمام الشافعي وتلميذه، وقد خلفه فى حلقته، ومن مؤلفاته كتاب " المختصر" فيه اختصار للعديد من دروس الإمام الشافعي.، ينقسم إلى قسمين: " المختصر الكبير" و " المختصر الصغير". قال فيه الشافعي: " ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيي، وليس أحد من أصحابي أعلم منه "، توفى عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. الشيرازى، الطبقات، صـ٧٩؛ البغدادى، تاريخ بغداد، ج١٤، صـ٢٩٩؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، صـ٤٢٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، صـ٧١.

والبويطي إلى قرية بُوَيْط من قري صعيد مصر تقع فى شرقى النيل، من أعمال الصعيد، بمحافظة أسيوط. انظر: محمد رمزى، القاموس الجغرافى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت) ج٤، صـ ٣٥. وذكرها الحموى باسم أَبْوَيطْ.ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، صـ٨٢.

كان بمثابة خليفة للإمام الشافعي فى حلقته، لأنه أعلم أصحابه فلم يكن أحد أحق بمجلسه منه. وكان هذا سببًا لأن يوقع به أعداؤه عند الخليفة الواثق بالله (٢٣٢-٢٢٧هـ/ ٨٤٢-٨٤٧م) أثناء المحنة، وقد دعى إلى القول بخلق القرآن فحمل مكبلاً بالحديد من مصر إلى بغداد بأمر من الخليفة، فلما رفض القول بخلق القرآن سجن في بغداد حتى توفى فيه(١).

٣- ابن حرملة المصري(٢):

صاحب الإمام الشافعي، وأحد رواة المذهب الشافعي بمصر، لازم الشافعي عند قدومه إلى مصر، وأخذ عنه الفقه والحديث، أكثر الإمام مسلم من الرواية عنه فى صحيحيه، وحرملة من أصحاب الوجوه فى المذهب الشافعي، يخرجها على أصول الشافعي، إلا أنه قد ينفرد فى بعض المسائل، ويخرج عن المذهب تأصيلاً وتفريعًا، كما قد يفعل ذلك المزني وغيره فى بعض الأحيان، وعلى الرغم من شهرة حرملة فى الحديث والفقه، إلا أنه لم يصل إلى مرتبة المزنى فى الرواية عن الشافعي(٣).

٤- الكَرَابيسيّ(٤):

صاحب الإمام الشافعي، وأحد رواة مذهبه فى العراق. تفقه ببداية الأمر على مذهب أهل الرأي بالعراق، ثم تفقه للشافعي حتى صار أشهر أصحابه، فلم يكن أحد أعلم ببلاد العراق بمذهب الشافعي منه، كان الكرابيسى من العارفين بعلم الكلام والحديث، تعلم علي يده الكثير فى العراق فاستطاع أن يجمع بين الفقه والحديث(٥).

٥- المُزَنى:

إن من الخير العظيم للعالم أن يكون له تلميذ نجيب

(١) السبكي، طبقات الشافعية، ج٢، صـ ١٦٢-١٧٠.

(٢) أبو حفص، حرملة بن يحيي بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي المصرى، ولد سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٢م، وتوفى بمصر سنة٢٤٣هـ/ ٨٥٨م، له العديد من المؤلفات منها " المختصر" المسمى باسمه" مختصر حرملة" الذى دون فيه أقوال الشافعي ومذهبه وكتاب" المبسوط" وغيرها من المؤلفات فى الفقه والحديث. الشيرازي، طبقات الفقهاء، صـ ٨٠؛ مجهول، رسالة تشتمل على تراجم بعض الأئمة من الفقهاء المنسوبين إلى الإمام الشافعى، مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٣١٢ تاريخ، ميكروفيلم ١٦٥٦، ورقة ٢٥- ٢٦؛ الذهبى، تذكرة الحفاظ، ج٢، صـ ٦٢؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، صـ ٢٢٩؛ ابن عبد البر، الانتقاء فى فضائل الأئمة الشافعي ومالك أبو حنيفة، صـ ١٠٩).

(٣) السبكى، طبقات الشافعية، ج٢، صـ ١٢٧-١٢٨.

(٤) أبو على الحسين بن على بن يزيد البغدادي الكرابيسى، سمى الكرابيسى لأنه كان يبيع الثياب الغليظة المسماة" الكرابيس"، وصنف الكثير من الكتب منها " كتاب في المقالات" وكتاب" معول المتكلمين في معرفة مذهب الخوارج وسائر أهل الأهواء" وكتاب" الإمامة". مات عام (٢٤٨هـ/ ٨٦٣م)، وقيل سنة٢٤٥هـ/ ٨٦٠م. الشيرازي، طبقات الفقهاء، صـ ١٠٣؛ البغدادى، تاريخ بغداد، ج٨، صـ ٦٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، صـ ٥٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، صـ ٣٩٩.

(٥) السبكي، طبقات الشافعية، ج ١ صـ ٦٥-١١٧-١٢٦-١٢٩-٢٣١-٢٤٠؛ ابن عبد البر، الانتقاء، صـ ١٠٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، صـ ٣٨٩.

صالح يحمل علمه عقب وفاته، فينفع الناس به ويخلد علمه وذكره والدعاء له من بعده فيكون بذلك حياً وإن كان فى قبره، وكان الشافعي من أولئك العلماء الذين تركوا تلميذاً نجيباً هو الإمام المزنى الذى نقل للأمة علم وفقه الإمام الشافعي إلى الآفاق[1].

مؤلفات الشافعي وأثرها فى الفقه ببلاد الشام:

يعد الشافعي أول من صنف فى علم أصول الفقه، وذلك بعد أن طلب منه القاضي عبد الرحمن بن مهدى أن يضع له كتاباً فى معاني القرآن الكريم، ويجمع فنون الأخبار، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ[2] من القرآن والسنة، فوضع له كتاب الرسالة[3].

وبذلك يكون الإمام الشافعي واضع أصول علم الفقه، لأن الفقهاء من قبله كانوا يجتهدون من غير أن يكون بين أيديهم حدود مرسومة للاستنباط، وكانوا يعتمدون على فهمهم لمعاني الشريعة وما تقصده أحكامها وغايتها، وما تشير إليه نصوصها، فيجتهدون فيوفقون من غير أن يكون بين أيديهم حدود مدونة، فجاء الإمام الشافعي واختلط بالعلماء وناظر الفقهاء، وناظروه، وكانت مناهجهم فى الاستنباط تبدو على ألسنتهم فى الجدل والمناظرات. لذلك وضع الإمام الشافعي الحدود ونسق القواعد، وضبط الموازين. وقد صنف الإمام الشافعي كتاب أصول الفقه فى بغداد (الرسالة) ثم أعاد تصنيفه مرة أخرى بمصر بعد رحلته إليها واستقراره بها[4]. ليس ذلك فى كتاب الرسالة فقط، بل غير وبدل فى معظم كتبه التي كتبها بالعراق.

وهذا ما جعل التلاميذ يلتفون حول علماء الشافعية بالشام، فقد عد المذهب الشافعى آنذاك المذهب المكتمل الأركان.

هناك العديد من مؤلفات الإمام الشافعي المطبوعة منها

---

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢، صـ ٤٥٩؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج١، صـ ٩٤.

(٢) الناسخ هو الحكم الأخير، والمنسوخ الحكم الأول، فالمنسوخ من أمثلة ذلك كان الناس يستقبلون بيت المقدس في الصلاة حتى هاجر الرسولﷺ ومضى عليه ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم أنزل الله الناسخ، وهو قول الله ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. البقرة: آية ١٤٤.

فهذا هو الناسخ لما كانوا يفعلون من استقبال بيت المقدس، أنهم أمروا أن يستقبلوا الكعبة أينما كانوا. الزركشى، البرهان، تحقيق أبى الفضل الدمياطى، دار الحديث، مصر، (د.ت)، ج٢، صـ ٢٨؛ السيوطى، الأتقان فى علوم القرآن، ج٢، صـ ٥٥.

(٣) البخاري، التاريخ الكبير، ج١، صـ٤٢.

(٤) قال الشيخ أحمد شاكر محقق كتاب "الرسالة": "إن أبواب الكتاب ومسائله التي عرض الشافعي فيها للكلام على حديث الواحد والحجة فيه، وإلى شروط صحة الحديث وعدالة الرواة، ورد الخبر المرسل والمنقطع، إلى غير ذلك مما يعرف من الفهرس العلمي فى آخر الكتاب، هذه المسائل عندي أدق وأغلى ما كتب العلماء فى أصول الحديث، بل إن المتفقه في علوم الحديث يفهم أن ما كُتب بعده إنما هو فروع منه، وعالة عليه، وإنه جُمع ذلك وصنفه على غير مثال سَبَقَ ". الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ت)، صـ١٣.

ما كتبه وأملاه على تلاميذه، والآخر أختصره أو جمعه من كتبه بعض تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه أو من جاء بعدهم، ومن فوائد هذه المختصرات التي كتبها تلاميذه أن بعضًا منها نقل من كتب الإمام الشافعي المفقودة.

ومن هذه المؤلفات:

١-**الرسالة**: ولم يسميه الإمام الشافعي بالرسالة، وإنما كان يطلق عليه" الكتاب" أو كتابنا" وهو أول مصنف في أصول الحديث وأصول الفقه معًا[١].

٢-**جماع العلم**: ألفه الإمام الشافعي بعد كتاب " الرسالة"، وتناول فيه الرد على منكرى الأخبار كلها ورافضى الاحتجاج بخبر الواحد، وغير ذلك من المسائل[٢].

٣-**السنن**: وقام بكتابته المزني، حيث ضم ٦٦٦ حديثًا[٣].

٤-**صفة نهى النبي**[٤]: هو جزء من كتاب "جِمَاعُ العلم".

٥-**الأم**: وهو عبارة عن مجموعة من كتب الإمام الشافعي فى فروع الفقه، جمعها الربيع[٥]، مما سمعه من الإمام الشافعى، وما فاته سماعه بينه، وكذلك ما وجد بخط الإمام الشافعي فى فروع الفقه[٦].

٦-**مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي**[٧].

٧- **أحكام القرآن**[٨].

٨-كتاب فى **علم القِيَافَة**[٩].

---

(١) الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، (د.ت)، صـ١٢.

(٢) الشافعي، جِمَاعُ العلم، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، صـ٨-١٠.

(٣) الشافعي، السنن المأثورة، تحقيق: عبد المعطي أمين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط١، صـ٢٩.

(٤) الشافعي، جِمَاعُ العلم، صـ١٢٥.

(٥) أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المؤذن المرادي مولى بني مراد، توفي بمصر عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٥م وهو الذي روى معظم كتب الإمام الشافعي. ابن النديم، الفهرست، ص٢١١؛ =

= السبكي، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٥٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، صـ٥٢.

(٦) الشافعي، الأم.

(٧) الشافعي، مسند الإمام الشافعي، صححت النسخة بمطبعة بولاق الأميرية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ت).

(٨) الشافعي، أحكام القرآن، صـ٢٣.

(٩) حاجي خليفة، كشف الظنون، ص١٣٦٧.

علم القيافة: "أي إثبات النسب بطريق الشبه، فيقوم شخص عنده معرفة بالنسب برؤية الطفل ورؤية من يراد الأنتساب إليه، فيحكم بناءً على معرفته بأن هذا الطفل من هذا الرجل أم لا.

- وقد عرفت القيافة فى زمن الرسول ﷺ؛ حيث إن المشركين شكوا وطعنوا فى نسبة أسامة بن زيد؛ وذلك لأن زيداً كان شديد البياض وأسامة كان شديد السواد، فدعا النبى القائف " أي الشخص القادر على معرفة النسب بطريق الشبه، وهو " مجزز المدلجى"، ثم غطى كل جسدى زيد وأسامة ولم يظهر منهما إلا قدماهما، فلما رأهما القائف قال بأن هذه الأقدام وهى أقدام أسامة من تلك، أي من أقدام زيد، وأخبر النبى ﷺ السيدة عائشة بما قاله هذا القائف، وهو مسرور جداً بما سمع، فدل هذا الحديث على أنه يجوز إثبات النسب بطريق القيافة أي بطريق الشبه.

والقائف: من يُحسن معرفة الأثر وتَتَبُّعَه. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، صـ ٤٢؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، صـ ١١؛ ابن حبان، الثقات، ج٣، صـ ٢؛ المزى، تهذيب الكمال، ج٢، صـ٣٣٩-٣٤١؛ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ط٤، صـ٧٦٦.

اختلف المؤرخون فى عدد مؤلفات الإمام الشافعي وهذا الاختلاف يعود إلى أن بعضاً من ترجموا للإمام الشافعي عدوا الكتاب الواحد الذى يحتوي على موضوعات متعددة، كتباً مستقلة، ولكن عدد الكتب التى ألفها الإمام الشافعي ثلاثة عشر كتاباً[١].

انتشار المذهب الشافعي ببلاد الشام:

عرف المذهب الشافعي طريقه إلى بلاد الشام فى حياة الإمام الشافعي، ومما ساعد على انتشار مذهبه بها أن الإمام الشافعي نفسه شامي المولد، وحينما صار فقيهاً مشهوراً دخل بلاد الشام وعقد حلقاته العلمية ببيت المقدس[٢].

هذا بالإضافة إلى استقرار الإمام الشافعي فى مصر منذ سنة (١٩٩هـ/ ٨١٥م)[٣] إلى أن توفي سنة (٢٠٤هـ/ ٨٢٠م)، وانتشر مذهبه بها، وهى قريبة من بلاد الشام خاصة فلسطين، فقد ساعد ذلك على انتشار المذهب الشافعي ببلاد الشام، فكانت فلسطين فى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى من معاقل الشافعية[٤]. وكان من مظاهر انتشار المذهب كثرة العلماء المشهورين بالمذهب، الذين ذاع صيتهم واشتهروا خارج بلاد الشام ورحل إليهم طلاب العلم.

انتشر المذهب الشافعي ببلاد الشام علي يد الكثير من أنصاره فكانت البداية عندما ولي الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م)، قضاء مدينة دمشق[٥] أحد قضاة المذهب الشافعي الفقيه يحيي بن أكثم بن محمد القاضي[٦]، فكان أول من أدخل

---

(١) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٩، صـ ٢٧-٢٨.
وفاة الإمام الشافعي: أصيب الشافعي فى أخر حياته بمرض البواسير، واشتد عليه المرض في الفترات الأخيرة، وربما خرج الدم وهو راكب حتى تمتلئ سراويله وخفه من البواسير دماً. دخل عليه المزنى فقا له: " كيف أصبحت يا أستاذ؟"، فقال، " أصبحت من الدنيا راحلاً، ولأخوانى مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً، ولسوء عملى ملاقياً" مات الشافعي فى رجب سنة (٢٠٤هـ-٨٢٠م)، عن عمر أربعة وخمسين عاماً، ودفن بمصر وضريحة مشهور بها. ابن عبد البر، الانتقاء، صـ ١٠٢؛ الصفدى، الوافي بالوافيات، ج٢، صـ ٢٧٦؛ ابن حجر، توالي التأسيس، صـ ١٧٧-١٧٨.
(٢) "قدم بيت المقدس فصلي فيه، وقال: سلوني ما شئتم أخبركم من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ"النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج١، صـ ٤٦.
(٣) شهاب المقدسي، مثير الغرام، صـ ٣٥٧.
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٤، صـ٦٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، صـ ٣٣؛ ابن زيد الحنبلي، محاسن المساعي، صـ ٨٥.
(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، صـ ١٧٩-١٨٠؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢١، صـ ٣٥٦-٣٥٨-٣٥٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، صـ ١٨٦.
(٦) يحيي بن أكثم بن محمد" أبو محمد المروزي" كان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام، وهو من أصحاب الإمام الشافعي، وكان إماماً في عدة فنون، توفى عام (٢٤٢هـ/ ٨٥٧م). ابن حبان، الثقات، ج ٩، صـ ٢٥٦؛ المسعودى، مروج الذهب، ج٤، صـ ٢١؛ المزى، تهذيب الكمال، ج٣١، صـ ٢٠٧؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٤، صـ ٣٦٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، صـ ١٤٦.

المذهب الشافعي إلى بلاد الشام، وسبباً فى انتشاره، من خلال البت فى القضايا التى تعرض عليه وإصدار الحكم فيها وفقًا لمذهب الشافعى.

وكذلك القاضي "أبو اليمان الحكم"[(١)] استقدمه الخليفة المأمون ليوليه القضاء على مدينة حمص[(٢)] . فكان أبو اليمان من أنصار المذهب الشافعي فمن خلال تلك الوظيفة تمكن من نشر المذهب الشافعي، وبتتبع الشخصيات التي ساهمت في نشر المذهب نجد إمام مسجد الجابية بدمشق " الحسن بن حبيب بن عبد الملك الدمشقي"[(٣)] فقد رحل إلى مصر وتعلم بها المذهب الشافعي ودرس كتاب " الأم " بمصر فكان من أكثر شخصيات عصره حفظًا لمذهب الإمام الشافعي، وعندما عاد إلي الشام أصبح له حلقة علمية كبيرة في مسجد دمشق، ويحدث بها بكتاب " الأم" للإمام الشافعي كله، فيعد من أكبر فقهاء الشافعية في بلاد الشام فى القرن الثالث الهجري[(٤)].

على الرغم من كل هذه الحلقات العلمية التي كانت تعقد ببلاد الشام على المذهب الشافعي، فإن المذهب الشافعي اجتاح بلاد الشام منذ تولي القضاء "محمد بن عثمان الثقفي"[(٥)] قضاء دمشق فبعد أن كان الغالب علي بلاد الشام مذهب الإمام الأوزاعي تمكن هو من نشر المذهب الشافعي بقوة فكان يحكم به القضاء، كذلك كان يهدى لمن يحفظ "مختصر المزني"[(٦)] فى مذهب الشافعي مئة دينار فأقبل الطلاب ببلاد الشام على تعلم المذهب الشافعي[(٧)].

وبدأ مذهب الإمام الشافعى فى الانتشار، فقد استمر أبي زرعة الشافعي علي قضاء دمشق حوالي أربعين عامًا، هذه المدة الكبيرة كان لها أثر عظيم فى نشر مذهب

---

(١) أبو اليمان الحكم: " هو ابن نافع البهراني الحمصي، أحد الأئمة من موالي بهراء، حدث عنه الإمام البخاري، والإمام أحمد بن حنبل، ولد سنة (١٣٨هـ/ ٧٥٦م)، وتوفى عام (٢٢١هـ/ ٨٣٦م). الرازى، الجرح والتعديل، ج٣، صـ ٥٧٩؛ المزى، تهذيب الكمال، ج٧، صـ ١٣٤؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، صـ ٤١٢.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، صـ ٤١٢ .

(٣) الحسن بن حبيب بن عبد الملك: الفقيه أبو علي الحصائري، ولد سنة (٢٤٢هـ / ٨٥٧م)عاش فى دمشق ومصر وهو أحد الرواة الثقات للحديث النبوي الثقة. ومات سنة (٣٣٨هـ/ ٩٥٣م)، عن عمر ٩٦عامًا، البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، صـ ٤٥٢؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، صـ ٢٥٥-٢٥٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، صـ ٢٤٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، صـ ٣٤٦؛ ابن تغربردى، النجوم الزاهرة، ج٣، صـ ٣٠٠.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، صـ ٤٩؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج١٥، صـ ٣٨٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، صـ ٢٤٧.

(٥) محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة الثقفي الدمشقي، مولي بني ثقيف، كان جده يهوديًا من سادات اليهود وأسلم، كان قاضي مصر زمن أحمد بن طولون (٢٢٠-٢٧٠هـ / ٨٣٥-٨٨٤م) فبعد سيطرة أحمد بن طولون علي بلاد الشام ولاه قضاء دمشق، مات سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٧م) فى دمشق. السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، صـ١٩٦-١٩٨ه؛ ابن طولون، الثغر البسام فى ذكر من ولى قضاء الشام، صـ ٢٢.

(٦) الإسنوي، طبقات الشافعية، ج١، صـ ٢٨.

(٧) ابن النديم، الفهرست، صـ ٢٦٢.

الشافعي ببلاد الشام من خلال خلال حلقاته العلمية التي كان يعقدها بمسجد دمشق أو فى بيته، أو من خلال القضايا التي طرحت عليه وبث فيها على مذهب الشافعى ومكافأة تلاميذه على حفظ " مختصر المزنى"، ومنذ ذلك الحين تبعه القضاة ببلاد الشام بالحكم على المذهب الشافعي[1].

وتبدأ مرحلة جديدة من مراحل انتشار المذهب الشافعي مع الفقيه " كُنيز بن عبد الله"[2]، حيث تميز بفهمه العميق للمذهب الشافعي الذي استطاع من خلاله أن يناظر أصحاب المذاهب الأخرى، واستطاع نشر حلقاته العلمية من خلال المسجد الجامع والتي استمرت سنوات طويلة[3].

هذا بالإضافة إلى تعدد الحلقات العلمية والمناظرات الفقهية، ولم تكن المساجد المكان الوحيد الذي اتخذه العلماء مقراً لنشاطهم العلمي ونشر المذهب الشافعى، بل أنشئت خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادى عدد من المدارس التي اختصت بتدريس الفقه الشافعي، ومنذ ذلك الوقت وبدأ مذهب الأوزاعي فى التراجع ولم يستطع الصمود أمام تلك الموجة العارمة، وبدأ مذهب الإمام الشافعي فى الانتشار إلى أن أصبح هو المذهب الرسمي للبلاد فى العصور اللاحقة.

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٤، صـ ١٩٤؛ السبكى، طبقات الشافعية، ج٣، صـ ١٩٦؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج١٤، صـ ٢٣١.

(٢) كُنيز بن عبد الله، أبو علي الخادم الفقيه الشافعي، من أهل بغداد ثم رحل إلى مصر، وعاش بها مدة، وحسل كتاب السبكى" طبقات الشافعية" أنه عاصر الشافعى، وكان يناظر الفقهاء المالكيين بها ويكشف عيوبهم، فاشتكاه الفقهاء المالكية بمصر إلي الوالي " أحمد بن طولون" (٢٢٠ -٢٧٠هـ/ ٨٣٥-٨٨٤م) فأمر بحبسه، استمر فى السجن مدة سبع سنوات إلى أن مات أحمد بن طولون، وتم إخلاء المحبوسين، فخرج وذهب إلى الإسكندرية وعاش بها سبع سنوات، ثم رحل إلى دمشق وعاش بها إلى أن مات. ابن ماكولا، رفع الارتياب، ج٧، صـ ١٦٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، صـ ٢٦١-٢٦١؛ السبكى، طبقات الشافعية، ج٢، صـ ٣٤٦.

(٣) ابن ماكولا، رفع الارتياب، ج٧، صـ ١٦٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠، صـ ٢٦٢.

الخاتمة

أهم النتائج التى تم التوصل إليها:

- عند دراسة المذهب الشافعى نجد أنه هو ثالث المذاهب تأسيساً بعد المالكية والحنفية، واستطاع الشافعى من خلال شخصيته الفذة والتميز الذى عرف به أن يحتل مكانة مرموقة مكنته وتلاميذه من نشر مذهبه.
- كما أن مذهب الشافعى يحتوي على معتقدات ولعل أهمها التي دونت من خلال الشافعى نفسه، والتي جاءت نتيجة قراءته وتعمقه فى الدين كاعتقاده حول كل من الصفات والأسماء، والتوحيد، القدر، ومسألة استواء الله على عرشه، الصحابة، كل ذلك جعل المذهب يفرض نفسه بكل قوة ببلاد الشام وغيرها من البلدان، حيث وجد أهالى الشام فيه إجابات على كل الآراء والأفكار التي طرحت فى ذلك العصر.

– ويعد المذهب الشافعى من المذاهب المكتملة، حيث قام على عدة ركائز والتي تسمى" الأصول" وهى ستة ركائز، تتمثل فى القرآن الكريم والسنة النبوية، الإجماع، القياس، قول الصحابة إذا لم يعلم له مخالف، وسد الذرائع، والتي نظمها الشافعى على أثر العديد من الاجتهادات.

– ومن خلال تعرضى لمذهب الشافعى وجدت أنه مر بعدة مراحل وأطوار، وكانت كل مرحلة تتميز بميزة معينة، ففي المرحلة الأولى تميزت بظهور أهم الكتب التي يعتمد عليها في المذهب " كالرسالة"، "الحجة" والمرحلة الثانية تميزت بمراجعة المذهب.

- وقد قام الأوزاعى بوضع كتاب لمعالجة القضايا التى تتعلق بأحكام الحرب، ومعاملة أفراد العدو، وتوزيع الغنائم، والتى نشأت عن الفتوحات فى بداية ظهور الدعوة الإسلامية، وتطرق إلى بعض القضايا والمبادئ العامة، فجاءت أحكامه بناءً على دراسة عملية نتيجة احتكاكه بشئون الحرب والعدو ومواطنى الدول غير الإسلامية.

– وكان من الدوافع والأسباب التي ساعدت على انتشار المذهب الشافعى ببلاد الشام شخصية الشافعى وكثرة رحلاته وتنقلاته فجاء إلى الشام عدة مرات، وكذلك المحتوى الفقهى للمذهب الذى تشاركه الشافعيون فى الشام، وكذلك دور الملوك والحكام فى نشر المذهب وقيام قاضى مصر والشام "أبى زرعة" بتقديم تحفيزات ومكافآت مقابل حفظ مصنفات المذهب. ونجد خلال فترة الدراسة أن المذهب الشافعى تمركز ببيت المقدس ودمشق أما باقى بلاد الشام فقد انتشر بها فى القرون اللاحقة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب المقدسة: -

١- القرآن الكريم

ثانياً: المخطوطات: -

مجهول، رسالة تشتمل على تراجم بعض الأئمة من الفقهاء المنسوبين إلى الإمام الشافعى، مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٣١٢ تاريخ، ميكروفيلم ١٦٥٦.

ثالثاً: المصادر المطبوعة: -

١. ابن الأثير (عز الدين بن الأثير الجزرى، ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

- الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢. ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن، ت ٥١٠هـ/ ١٢٠٠م)

- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٣. ابن العماد (عبد الحى بن أحمد بن محمد، ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤. ابن النديم (محمد بن إسحاق المعتزلى، ت: ٣٨٤هـ/ ٩٩٥م)

- الفهرست، علق عليه أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٥. ابن تغر بردي (جمال الدين يوسف بن الأمير، ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)

- النجوم الزاهرة فى مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، مصر، ١٣٨٣ هـ-١٩٦٣م.

٦. ابن حجر العسقلانى (أحمد بن على بن محمد العسقلانى، ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)

- تقريب التهذيب، تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستانى، دار العاصمة، (د.ت).

- توالي التأسيس، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ط١.

٧. ابن حوقل(محمد بن حوقل، ت: ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)

- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

٨. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

- تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، بيروت-لبنان، دار الفكر، ط٢، (د.ت).

٩. ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)
- وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
١٠. ابن سعد (محمد بن سعد بن مَنِيع، ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)
- الطبقات الكبرى، تقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
١١. ابن طباطبا (محمد بن أحمد الهاشمى، ت: ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)
– الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، نشره محمود توفيق الكتبى، المطبعة الرحمانية، (د.ت).
١٢. ابن طولون (محمد بن على بن أحمد، ت: ٩٥٣هـ/ ١٥٤٧م)
- الثغر البسام فى ذكر من ولي قضاء مصر والشام، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٦م.
١٣. ابن عبد البر(أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري المعروف بابن عبد البر، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)
- الانتقاد فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
١٤. ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن، ت: ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م)
- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمرو بن غلامة العمري، دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.
١٥. ابن فرحون المالكى (إبراهيم بن على بن محمد، ت: ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م)
- الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر.
١٦. ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينورى، ت: ٢٧٦هـ/ ٨٩٠م)
- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٤، (د.ت)
١٧. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)
- البداية والنهاية، تحقيق عبد الحليم، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦.
١٨. ابن ماكولا (أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي، ت ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢م)
- رفع الأرتياب عن المؤتلف والمختلف فى الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتاب الإسلامي، (د.ت) .
١٩. أبو الفداء (إسماعيل بن على بن محمود، ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
- المختصر فى أخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر، ١٩٤٠م.

٢٠. أبو زرعة الدمشقى (عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان النصرى، ت ٢٨١هـ/ ٨٩٥م)
- تاريخ أبى زرعة، تحقيق شكر الله بـن نعمة الله القوجانى، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠٠٣م.
٢١. الإسنوي (عبد الرحيم بن الحسن بن على، ت: ٧٧٢هـ/ ١٣٧١م)
- طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٢. الأصطخرى (إبراهيم محمد الكرخى، ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٨م)
- مسالك الممالك، ليدن، ١٩٦٧م.
٢٣. الأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين، ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)
- مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ت).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢٤. البخاري (محمد بن إسماعيل، ت: ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)
- صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، (د.ت). التاريخ الكبير، بدون مكان طبعه أو تاريخ طبعه .
- لبرهان فى علوم القرآن، تحقيق أبى الفضل الدمياطى، دار الحديث، مصر، (د.ت).
٢٥. البستي (محمد بن حبان، ت: ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)
- الثقات، مكتبة نزار مصطفي الباز، السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- - مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت. - الثقات، مكتبة نزار مصطفي الباز، السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٦. البغدادي (أحمد بن على بن ثابت، ت: ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م)
- تاريخ بغداد، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- الأسماء المبهمة فى الأنباء المحكمة، مطبعة المدنى، القاهرة، ١٩٨٤ .
٢٧. البلاذرى (أحمد بن يحيى، ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)
- أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٢٨. البيهقى (أحمد بن الحسين بن على، ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)
- السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادرعطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

- مناقب الشافعي، تحقيق أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٢٩. الجهيشارى (محمد بن عبدوس، ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م)
- الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ الشلبى، مطبعة البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٣٨.
٣٠. خليفة بن خياط (خليفة بن خياط بن أبى هبيرة، ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٥م)
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
٣١. الدينورى (أحمد بن داود الدينورى، ت: ٢٨٢هـ/ ٨٩٦م)
- الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ط١، (د.ت).
٣٢. الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان، ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)
- العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٤٨. -
- سير أعلام النبلاء، تحقيق علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ. ميزان الاعتدال، علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، (د.ت). - تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (د.ت).
٣٣. الرازى (ابن أبى حاتم، ت: ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)
- آداب الشافعى ومناقبه، تحقيق عبد المغنى عبد الخالق، مطبعة السعادة، ، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٥٣م.
- الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣
٣٤. الزركشى (بدر الدين الزركشى، ت: ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)
٣٥. السبكى (تاج الدين السبكى، ت: ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)
- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.
٣٦. السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، ت: ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م) الأتقان فى علوم القرآن القرآن، جمعه أبو الوفا الهورينى، المطبعة الكستلية، مصر، ١٢٧٩هـ.
٣٧. الشافعي (محمد بن إدريس، ت: ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م) أحكام القرآن، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء العلوم، بيروت- لبنان، ١٤١٠هـ١٩٩٠م.
- الأم، دار الغد العربي، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ، ١٩٤٠م. السنن

المأثور، تحقيق عبد المعطي أمين، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ط١.

- جماع العلم، تحقيق احمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، (د.ت). مسند الإمام الشافعي، صححت النسخة بمطبعة بولاق الأميرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).

– الشافعي، السنن المأثورة، تحقيق: عبد المعطي أمين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ط١.

٣٨. الشيرازي (أبو إسحاق الشيرازى، ت: ٤٧٦هـ/ ١٠٨٤م)

- طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، (د.ت)

٣٩. الصفدي (صلاح الدين الصفدى، ت: ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م)

- الوافى بالوافيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركى مصطفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

٤٠. الطبرى (محمد بن جرير، ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ت).

- معجم الأدباء إرشاد الأريب فى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ط١.

٤١. القزويني (بهاء الدين المعروف بالنجار، ت: ٥٨٠هـ/ ١١٨٥م)

- مسند الشافعي، وزارة الوقاف والشئون الدينية، قطر، ط١، (د.ت)

٤٢. الكندى (محمد بن خلف بن حيان، ت: ٣٠٦هـ/ ٩١٨م)

- الولاة والقضاة، دار عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

٤٣. مجهول محاسن المساعي فى مناقب الإمام الأوزاعي، تحقيق شكيب أرسلان، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

٤٤. مجهول أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدورى، وعبد الجبار الملطى، دار صادر بيوت، ١٩٧١م.

٤٥. المزي (يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، ت: ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م)

- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٤٦. المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين، ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

- التنبيه والإشراف، تصحيح عبدالله إسماعيل الصادق، مكتبة المثني، بغداد، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٤٧. مصعب الزبيرى (مصعب بن عبدالله بن مصعب، ت: ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)

- نسب قريش، تحقيق إ. ليفى بروفنسال، دار المعارف، (د.ت).

٤٨. المقدسى (المطهر بن طاهر، ت: ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م)

- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت) .

٤٩. المقدسي (أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت: ٧٦٥هـ/ ١٣٥٥م)

- مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيمي، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٥٠. المقدسي (محمد بن أحمد، ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، طبع فى مدينة ليدن المحروسة، بمطبعة بريل، ١٩٠٩م.

٥١. النووي (يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)

- تهذيب الاسماء واللغات، تحقيق عبده علي كوشك، دار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

٥٢. النويري (شهاب الدين النويرى، ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

- نهاية الأرب فى فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ت) .

٥٣. ياقوت الحموى (شهاب الدين بن عبد الله، ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

- معجم البلدان، دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٥٤. اليعقوبى (أحمد بن إسحاق، ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م)

- تاريخ اليعقوبى، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

رابعـًا: المراجع العربية: –

الأثرى، شفاء العي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ١٩٩٥م، ط١.

أحمد أمين، ضحي الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ط٢.

أحمد عبد الله اليظي، دراسة في الفرق والطوائف الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

حاجى خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

حسين عطوان، الدعوة العباسية " تاريخ وتطور"، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥ .

عبد الحليم الجندي، الإمام الشافعي ناصر السنة

وواضع الأصول، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، ١٩٦٩م.
عبد الحليم زيدان، الإمام الشافعي المصلح المتعايش والمبدع المجدد، معهد برامج التنمية الحضارية، لبنان، ٢٠٠٤م.
عبد الشافى عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٧، ط١.
عطية القوصى، الدولة العربية الإسلامية، دار الثقافة العربية، (د.ت).
كامل العسلي، الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٠م.
محمد إبراهيم الفيومى، فى الفكر الدينى الجاهلى، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م، ط٢.
محمد بيومى مهران، بلاد الشام، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
محمد رمزى، القاموس الجغرافى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت)).
المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ط٤، صـ٧٦٦ .
نسيب وهبة الخازن، من الساميين إلى العرب، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٢م.

خامسًا: المقالات والبحوث والدوريات: –

جوزى بندلى، السفيانى، مجلة المقتطف، القاهرة، مجلد٨٣، ١٩٣٣م.
عبد العزيز الدورى، الأرض فى بلاد الشام فى صدر الإسلام، المؤتمر الدولى الأول لتاريخ بلاد الشام، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ط١.

سادسًا: الرسائل الجامعية: –

وداد عوض الدرايسة، الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام فى العصر الأموى، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، ١٩٩٤م.

سابعًا: الكتب المترجمة: –

سوفاجيه، دمشق الشام" لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر"، ترجمة فؤاد البستانى، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٦م.
كلود كاهن، تاريخ الشعوب العربية، ترجم بدر الدين قاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢.

Key words

- religious sects
- Al-Awza'i jurisprudence
- war issues